القسم الأول

من الأحاديث القدسية

obeikandl.com

obeikandl.com

إخلاص النية

أخرج مسلم فى صحيحه - كتاب الزهد - بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تبارك وتعالى: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه**».

***

أهمية تصحيح النية:

يجب على الإنسان أن يعمل العمل ابتغاء مرضاة الله عز وجل كى يحظى بالثواب الجزيل والفضل العميم والفردوس الأعلى، فتصحيح النية وتجريدها لله يجعل الإنسان يفعل الواجب لذاته، ويسارع إلى الخير بلا نفاق أو خداع، ويتفانى فى العمل - مهما كانت العوائق - كى يؤتى ثماره الطيبة المباركة الموصولة..

وقد جاءت النصوص الشرعية بأهمية تصحيح النية والإخلاص فى العمل، فقال تعالى:

﴿ ۞لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾[1].

وفى الحديث المتفق عليه عن أمير المؤمنين أبى حفص عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**».

وقد صدر الإمام البخارى كتابه الصحيح بهذا الحديث الشريف لأهميته وعظم شأنه..

جزاء المرائى:

من انحرف فى نيته، وجعل غايته من عمله الرياء والسمعة وحديث الناس، فقد حبط عمله وخاب سعيه ولم ينل إلا العناء والشقاء..

---

(١) سورة النساء: آية (١١٤).

وقد سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل للمغنم، وعن الرجل يقاتل ليذكر، وعن الرجل يقاتل ليرى مكانه فمن فى سبيل الله، فقال: عليه الصلاة والسلام: من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله.

والإنسان الذى يرائى الخلق ويدع الخالق يعامله الله تعالى بنقيض قصده ولا يحقق له مراده، وتظل الحسرة تلاحقه..

فقد خرج أحمد وابن ماجة من حديث زيد بن ثابت عن النبى ﷺ قال: «**من كانت الدنيا همه فرق الله شمله وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره وجعل غناه فى قلبه وأتته الدنيا وهى راغمة**».

هذا هو جزاء المرائى فى الدنيا، يعامل بنقيض قصده، أما جزاؤه الأخروى فقد تحدث عنه الرسول ﷺ – كما فى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال:

إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال: ما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت قال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جرىء فقد قيل: ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار.

ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، فقال: ما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار.

ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها، قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقى فى النار.

وفى الحديث أن معاوية لما بلغه هذا الحديث بكى حتى غشى عليه، فلما أفاق قال: صدق الله ورسوله، قال عز وجل:

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[1].

إننا فى حاجة ماسة لتصحيح مسيرة سلوكنا، فإذا أنفقنا أو تعلمنا أو ساعدنا الناس، أو قمنا بعمل خيرى فلنجعله كله لله وفى الله فهو وحده الذى يعلم السر وأخفى..

---

(١) سورة هود: الآيتان (١٥، ١٦).

جزاء الحسنة والسيئة

أخرج مسلم فى صحيحه بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما، عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال: «**إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بيّن ذلك، فمن همّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همّ بها فعملها كتبها الله عز وجل عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن همّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وإن همّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة**».

***

كتابة الحسنات والسيئات:

الإنسان مخلوق مكلف، يتحمل أمانة قيادة الحياة بمنهج الله، والتكليف يعنى المسئولية والحساب والجزاء، والإنسان المكلف هو البالغ العاقل، وحينئذ فما يصدر عن هذا الإنسان من اعتقاد أو قول أو فعل يسجل عليه، قال الله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾[1].

ومعنى «رقيب» حافظ، ومعنى «عتيد» حاشر، فهناك ملكان، كل منهما رقيب عتيد، حاضران حافظان يسجلان الحسنات والسيئات، حتى إذا وافى العبد القيامة وجد عمله أمامه يحاسب عليه إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر..

المراد بالهم:

ذكر العلماء أن مراتب قصد الشيء خمس هى: الهاجس وهو ما يلقى فى النفس، والخاطر وهو ما يجرى فى النفس، وحديث النفس وهو ما يقع فيها من التردد بين الفعل والترك، والهم وهو ترجيح قصد الشيء، والعزم وهو الجزم بالشيء فإن اقترن بمباشرته فهو النية.

---

(١) سورة (ق): الآيات (١٦، ١٨).

وذكر العلماء أن الهاجس لا يؤاخذ به العبد ولو كان كفرًا لأنه ليس من فعله وإنما هو شيء طرقه قهرًا عنه، وما بعده من الخاطر وحديث النفس وإن قدر المرء على دفعهما لكنهما مرفوعان بالحديث الشريف وهو قوله ﷺ: «**إن الله سبحانه وتعالى تجاوز لأمتى ما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل به**».

وهذه المراتب الثلاث لا أجر فيها فى الحسنات أيضًا لعدم القصد القوى، أما الهم فقد بين الحديث الشريف الذى معنا حكمه، والعزم يؤاخذ به الإنسان على التحقيق لقوله ﷺ: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار، قيل: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريصًا على قتل صاحبه**» فالقاتل تحققت له النية بمباشرة الفعل فدخل النار، والمقتول تحقق له العزم وهو الجزم بالقتل فدخل النار.

فضل الله فى جزاء الهم:

يبين الحديث الشريف فضل الله تعالى فى جزاء الهم بالحسنة أو السيئة، فمن هم بحسنة فلم يعملها لظروف منعته من ذلك فإن الله تعالى لا يحرمه الثواب بل يكتب له عنده حسنة كاملة، فنية المؤمن أبلغ من عمله، وإن تجاوز الإنسان مرحلة الهم إلى النية والتنفيذ، وعمل الخير عقيدة أو سلوكًا توالى عليه ثواب الله تعالى من عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وخزائن الله لا تنفد، وعطاء الله ممتد..

ومن هم بسيئة فلم يعملها خشية من الله، وتركها مخافة من عقاب الله، كافأه الله تعالى على ذلك بأن كتبها عنده حسنة كاملة، وقد جاء فى بعض الروايات الصحيحة: قالت الملائكة: «رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة، وهو أبصر به، فقال: ارقبوه فإن عملها فاكتبوها له بمثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنة، إنما تركها من جراى.

أما من ترك المعصية لخوف الناس أو لعدم توافر ظروف الجريمة أو لأمر خارج عن إرادته فهو ملوم محاسب بقدر همه..

ومن هم بالسيئة فعملها كتبها الله سيئة واحدة.. قال الله تعالى:

﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [1].

وقد علق الإمام النووى على هذا الحديث فى الأربعين النووية فقال:

---

(١) سورة الأنعام: آية (١٦٠).

«فانظر يا أخى وفقنا الله وإياك إلى عظيم لطف الله تعالى بعبده، وتأمل هذه الألفاظ، وقوله «عنده» إشارة إلى الاعتناء بها، وقوله «كاملة» للتأكيد وشدة الاعتناء بها، وقال فى السيئة التى هم بها ثم تركها «كتبها الله عنده حسنة كاملة» فأكدها «بكاملة»، وإن عملها كتبت سيئة واحدة فأكد تقليلها «بواحدة» ولم يؤكدها بكاملة، فلله الحمد والمنة، سبحانه لا نحصى ثناء عليه، وبالله التوفيق».

***

obeikandl.com

الفاتحة ثناء ودعاء

أخرج مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: «قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين، ولعبدى ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ قال الله تعالى: حمدنى عبدى، وإذا قال: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ قال الله تعالى: «أثنى علىّ عبدى»، وإذا قال: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾، قال: مجدنى عبدى، وقال مرة: فوض إلىّ عبدى فإذا قال: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾ قال: هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل، فإذا قال: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾، قال: هذا لعبدى ولعبدى ما سأل».

***

المراد بالصلاة:

المراد بالصلاة هنا سورة الفاتحة لأن الصلاة لا تصح إلا بها فالمسلم يقرأ هذه السورة الكريمة كل يوم سبع عشرة مرة على الأقل فى الأوقات الخمسة المفروضة.

وهذه السورة هى أم القرآن والسبع المثانى، وهى قد اشتملت على مقاصد القرآن كله فهى تؤكد قضية الألوهية والربوبية لله رب العالمين، وتؤكد ضرورة العبادة التى تربط الإنسان بخالقه، وتؤكد حتمية المنهج الذى جاء به الرسل هداية للناس وأمنًا..

المراد بقسمة الفاتحة بين الله وبين عبده:

المراد بهذه القسمة قسمة المعانى أى أن نصف الفاتحة الأول تحميد لله وتمجيد وثناء عليه وتفويض إليه، ، ونصفها الثانى سؤال وطلب وتضرع وافتقار إلى الله تعالى:

وقد وضح الحديث القدسى هذا المعنى:

فإذا قال العبد: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾[1] .قال الله تعالى: حمدنى عبدى.

---

(١) سورة الفاتحة: الآية (٢) .

وإذا قال العبد: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ ﴾[1] قال الله تعالى: أثنى عليّ عبدى.

وإذا قال العبد: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾[1] قال الله تعالى: مجدنى عبدى أو فوض إلىّ عبدى.

والفرق بين التحميد والثناء والتمجيد أن التحميد مرتبط بجميل الفعال، والتمجيد مرتبط بصفات الجلال، والثناء يجمع بينهما، فالثناء يكون لصاحب الجميل ويكون لصاحب العظمة..

وجاء التعبير بالتفويض عقب: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾[1]، لأن الله هو المنفرد بالملك حقيقة ومجازًا فى ذلك اليوم كما قال تعالى: ﴿ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾[2].

أما فى الدنيا فقد يدعى البعض لنفسه مِلكا أو مُلكا، ومع أنه فى الحقيقة ادعاء مجازى إلا أنه قائم، لكن الآخرة لا يتصور فيها ادعاء الملك لأحد غير الله تعالى.

وإذا ما انتهى العبد فى قراءته للفاتحة من تحميد مولاه وتمجيده والثناء عليه قال: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾[1].

وهذه نقطة فاصلة بين ما لله وما للعبد، بمعنى أن الله المنعم المتفضل، مالك الملك والملكوت هو المستحق وحده للعبادة وعليه التوكل وبه وحده الاستعانة لأنه الغنى وما سواه فقير إليه.

القسم الخاص بالإنسان:

يوضح الحديث القدسى هذا القسم بقوله: فإذا قال: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾[1]، قال الله تعالى: هذا لعبدى ولعبدى ما سأل.

فطالما استجاب الإنسان لربه ومولاه، وعرف عظمته وجلاله وكبرياءه، وأقر له سبحانه بالعبودية، واستجاب له فى العبادة واستعان به فى كل أموره - كان حقًا على الله أن يمنحه إجابة الدعاء وييسر له سبيل الهداية، ويمده برعايته وعنايته ويتولاه بلطفه، ويعصمه من الزلل والانحراف ويأخذ بيده بعيدًا عن أولياء الشيطان..

---

(١) سورة الفاتحة: من آية (٣) إلى آية (٧).

(٢) سورة غافر: آية (١٦).

وقد ورد فى بعض الأحاديث أن النبى ﷺ قال: «**إن اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون**». رواه أحمد والترمذى وقال حسن غريب.. فاليهود والنصارى كلاهما مغضوب عليه وضال ولكن أخص أوصاف اليهود الغضب لقوله تعالى: ﴿ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ ﴾ [1] ، وأخص أوصاف النصارى الضلال لقوله تعالى: ﴿ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾ [2].

***

(١) سورة المائدة: آية (٦٠).

(٢) سورة المائدة: آية (٧٧).

obeikandl.com

الإنفاق والثواب

أخرج مسلم فى صحيحه بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه يبلغ به النبى ﷺ قال: قال الله تبارك وتعالى: «**يا بن آدم أنفق أُنْفق عليك، وقال: يمين الله ملأى سحّاء لا يَغيضها شيء الليل والنهار**».

***

هذا الحديث الشريف يتضمن جزأين أحدهما قدسى والآخر نبوى، فالأول هو قوله: «**يا ابن آدم أنفق أُنفق عليك**».

ويتضمن هذا النص القدسى أمرا ووعدا، فالأمر «**يا ابن آدم أَنْفق**» والوعد «**أُنْفِقْ عليك**».

وهذا المعنى بشقيه يلتقى مع قول الله تعالى فى القرآن المجيد:

﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (١).

إن الله تعالى يمنح بعض الناس أموالاً يبتليهم بها ويختبرهم، فللمال وظيفة اجتماعية ذات أهمية قصوى، وصاحب المال مطالب بإعطاء كل ذى حق حقه، فهو يبدأ بنفسه يعفها عن المسألة ويكفها عن التسول ويلبى رغبات نفسه من غير إسراف ولا مخيلة، ثم يثنى بمن يعول، يوفر لهم حاجاتهم ويتحمل ما فرض الله عليه حيالهم، فإن فاض المال بعد ذلك فلوجوه البر الاجتماعية، للسائل والمحروم، واليتيم والمسكين وابن السبيل وفى سبيل الله..

وجاءت أحاديث كثيرة فى هذا المجال نذكر منها ما رواه مسلم عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله، ودينار ينفقه الرجل على دابته**

---

(١) سورة الروم: الآيتان (٣٨، ٣٩).

فى سبيل الله، ودينار ينفقه على أصحابه فى سبيل الله.. قال أبو قلابة: - أحد الرواة - وبدأ بالعيال، وأى رجل أعظم أجرًا من رجل ينفق على صغار يعفهم أو ينفعهم الله به ويغنيهم..».

وكان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً، وكان أحب أمواله إليه بَيْرحَى (بستان يسمى بهذا الاسم)، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، فلما نزلت هذه الآية: ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾[1]، قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: إن الله يقول فى كتابه: ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾. وإن أحب أموالى إلىّ بَيرَحى، وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث شئت، قال رسول الله ﷺ: **«بخ، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، قد سمعتُ ما قلتَ فيها وإنى أرى أن تجعلها فى الأقربين، فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه».**

الشق الثانى:

قوله: «يمين الله ملأى سحاء لا يغيضها شىء الليل والنهار» والمراد أن خزائن ملك الله لا تنفد، وأن عطاء الله متواصل، وأن نعم الله لا تعد ولا تحصى..

فيمين الله ملأى سحاء أى ممتلئة تصب دائمًا الخير والنعم والعطاء، لا يغيضها - أى لا ينقصها - شىء يعطيه الله عباده ليلاً ونهارًا..

قال الله تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾[2].

وقال جل شأنه:

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾[3].

---

(١) سورة آل عمران: آية (٩٢).

(٢) سورة المنافقون: آية (٧).

(٣) سورة المائدة: آية (٦٤).

فلنسارع إلى الصدقة والبر والصلة، وقد منحنا الله المال وتفضل علينا بالثواب، وإن الكريم يحبه أهل الأرض وأهل السماء، وإن البخيل يمقته أهل الأرض وأهل السماء.

وما من يوم إلا وينادى ملكان - كما أخبر الصادق المصدوق -.

يقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا.

ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا.

إن المال نعمة يوم يسخر لخدمة المجتمع ويوم يراعى فيه حق الضعفاء والمحتاجين وذوى القربى..

ونعم المال الصالح للرجل الصالح..

***

obeikandl.com

فضل الصيام

أخرج مسلم فى صحيحه بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل: **«كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به، والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنى امرؤ صائم، والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك، وللصائم فرحتان يفرحهما، إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقى ربه فرح بصومه».**

***

هذا الحديث الشريف يبين لنا فضل الصيام وجزاءه المضاعف وما أعده الله لعباده الصائمين..

معنى قوله: **«كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به»:**

كل أعمال الإنسان التى يتقرب بها إلى الله تعالى يمنحها الله ثوابًا معلومًا، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، لكن الصوم يخرج عن هذا الإطار العام ويصل فى ثوابه إلى ما لا يحصيه العد ولا يحيط به القدر، فإن الكريم إذا تولى الجزاء بنفسه اقتضى ذلك عظم الجزاء وسعة العطاء.

وللعلماء أقوال فى إضافة الصوم إلى الله تعالى، منها: أنه لم يعبد أحد غير الله به فلم يعظم الكفار فى عصر من العصور معبودًا لهم بالصيام وإن كانوا يعظمونه بصورة الصلاة والسجود والصدقة وغير ذلك..

ومنها أن الصوم بعيد عن الرياء، لا يطلع عليه إلا عَلاَّم الغيوب، وكلما كانت العبادة أخفى كان الثواب أجزل.. ومنها أن فى الصوم تشبهًا بالملأ الأعلى، حيث يستغنى الإنسان عن الطعام والشراب والشهوة فترة زمنية حددها الله تعالى بقوله: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾[1].

---

(١) سورة البقرة: آية (١٨٤).

من أخلاق الصيام:

ثم يوجه هذا الحديث إلى سلوك راشد وقيم عليا فى العلاقات الاجتماعية فالصيام جنة، ووقاية من المأثم والمعصية، وحاجز عن الفحش وقول الزور، فالصائم لا يرفث ولا يصخب بمعنى أنه يصون قوله وفعله عما يغضب الله عز وجل ويظل قلبه موصولاً بالله، ولسانه رطبًا بذكر الله، والمراد بقوله: «**فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنى امرؤ صائم**».

أن يقول الصائم بلسانه إنى امرؤ صائم جهرًا ليسمعه الشاتم والمقاتل فينزجر غالبًا، أو يقولها فى نفسه ليمنعها من مقابلة الشر بمثله، وليصون صومه عن المكدرات..

خلوف فم الصائم:

يقسِم رسول الله ﷺ قسمًا مؤكدًا أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك.

والخلوف هو تغير رائحة الفم لخلو المعدة من الطعام، والمراد المجاز عن قرب الصائم من ربه، واستعداده لتلقى نفحات الله عز وجل، كما جرت عادتنا بتقريب الروائح الطيبة منا..

وقيل المراد أن الله تعالى يجازى الصائم على هذا التغير من الثواب فى الآخرة أكثر مما يحصل عليه صاحب المسك الذى يندب إليه فى الجمع والأعياد ومجالس الذكر ومجامع الخير..

للصائم فرحتان:

أخبر الرسول الكريم أن للصائم فرحتين يفرحهما، إذا أفطر فرح بفطره لأن الله وفقه للطاعة وأتم العبادة، وإذا لقى الله فرح بجزاء الصوم الذى أعده الله لعباده الصائمين مما لا يدخل تحت الحصر ولا يحصيه العد:

﴿ لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَـٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[1].

﴿ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[2]

***

(١) سورة الصافات: آية (٦١).

(٢) سورة المطففين: آية (٢٦).

فضل الجهاد

أخرج مسلم فى صحيحه بسنده عن أبى هريـرة رضـى الله عنـه قـال: قـال رسـول الله ﷺ: **«تضمن الله لمن خرج فى سبيله، لا يخرجه إلا جهاد فى سبيلى وإيمان بى وتصديق برسـلى، فهو علىّ ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذى خرج منه نائلاً مـا نـال مـن أجـر أو غنيمة».**

***

ضوابط الجهاد فى سبيل الله:

هذا الحديث الشريف يدفع المؤمنين دفعًا إلى الجهاد والتضحية والثبات فى مواجهة الأعـداء الذين يتربصون بالمؤمنين الدوائر ويسلبون أموالهم وديارهم.

وقد وضع هذا الحديث ضوابط لهذا الجهاد فقال:

«لا يخرجه إلا جهاد فى سبيلى وإيمان بى وتصديق برسلى».

فالمدار فى الجهاد على صحة النية وصدق العزيمة واليقين الكامل القائم على توحيد الله عـز وجل والتصديق بالرسالة للمصطفين الأخيار من البشر..

فالضابط الأول للجهاد قوله: «جهاد فى سبيلى».

بمعنى أن يكون الهدف هو سبيل الله وليس سبيل الشهوة أو الشهرة أو الزعامة أو المغانم.

فالمسلم يقاتل فى سبيل الله وحده..

الضابط الثانى قوله: «إيمان بى».

فمن آمن بالله استعذب الآلام وخاض المعارك وتحمل البأساء دون أن تلين له قنـاة، ودون أن يولى الأدبار..

والضابط الثالث قوله: «تصديق برسلى».

فتصديق الرسل هو شطر الإيمان وجزؤه الـذى لا يتجـزأ، ولا يمكـن بحـال مـن الأحـوال أن يتحقق الإيمان بالله بغير الإيمان بالرسل جميعًا وخاتمهم محمد ﷺ.. قال الله تعالى:

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾[1].

وعد الله تعالى للمجاهدين:

يقول الحديث القدسى الذى معنا «**فهو علىّ ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذى خرج منه نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة**»، فوعد الله تعالى للمجاهدين هو:

أولاً: إن مات المجاهد فقد أصبح شهيدًا له الجنة فى فردوسها الأعلى، وقد جاء فى صحيح الحديث «ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وأن له ما على الأرض من شىء غيرُ الشهيد فإنه يتمنى أن يرجع فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة».

ثانيًا: إن لم يحظ المقاتل بالشهادة فقد حظى بأجر الجهاد وثواب التضحية الذى يفوق كل تصور.. وفى صحيح الحديث أن النبى ﷺ قيل له: ما يعدل الجهاد فى سبيل الله عز وجل؟ قال لا تستطيعونه، فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثًا، كل ذلك يقول لا تستطيعونه، وقال فى الثالثة: «مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد فى سبيل الله تعالى».

ثالثًا: النصر والظفر بالأعداء، وإعلاء كلمة الدين، وتلك غاية كبرى، ومنتهى آمال المجاهدين أن يعيش الناس سعداء بدين الله عز وجل.. قال الله تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾[2]

***

(١) سورة البقرة : آية (٢٨٥).

(٢) سورة الحج الآيتان: (٤٠ ، ٤١).

أعمال ضيعها الرياء

أخرج مسلم فى صحيحه بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جرىء فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار.**

ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال: كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار.

ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد، فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقى فى النار».

❋❋❋

مقصود الحديث:

ذكر هذا الحديث ثلاثة أعمال ذات أهمية قصوى فى العمل الدينى والبناء الاجتماعى لكنها ضاعت على أصحابها فى الآخرة لأنهم لم يبتغوا بها وجه الله عز وجل ولم يخلصوا النية وتوجهوا بها إلى السمعة ورياء الناس فحبطت أعمالهم وكانوا أول الناس العصاة الذين تسعر بهم جهنم يوم القيامة..

الأعمال التى أشار إليها الحديث:

الأعمال التى ساقها هذا الحديث وتمثل قمم العمل الصالح لو صدقت النية هى: الجهاد فى سبيل الله والشهادة، وتعلم العلم وتعليمه وقراءة القرآن، وبذل المال فى وجوه البر والخيرات..

وقد حظيت هذه الأعمال بثواب جزيل وأجر كبير من الله تبارك وتعالى:

فمن أعطاه الله قدرة الجسم وبسطته ومنحه القدرة على الثبات فى مواجهة أعداء الدين والحياة فعليه أن يقاتل لتكون كلمة الله هى العليا وليدحر قوى الشر والطغيان ويتوجه بقلبه

وقالبه إلى الله عز وجل حتى يحظى بالفردوس الأعلى حين الشهادة أو الاستقرار والتمكين حين النصر المؤزر..

وجاء أعرابى وقال: يا رسول الله الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل ليذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن فى سبيل الله فقال ﷺ: «**من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا، فهو فى سبيل الله**».

ومن منحه الله العلم وشرفه بالقرآن فليجعل منتهى أمله أن يهدى الله به، وأن يفقه الناس فى الدين، وأن يعمل بما علم حتى يفوز مع الفائزين بسعادة الدنيا وكرامة الآخرة.. وقد قال ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه فى الدين**» وقال: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**».

ومن منحه الله مالاً فأعف نفسه ومن يعول، وشارك فى البر والخيرات وساعد ذوى الحاجات، وساهم فى بناء المجتمع — كان له ثواب المحسنين وأجر المتصدقين، ذلك الثواب والأجر الذى يتضاعف أضعافًا كثيرة.. قال الله تعالى:

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾[1].

حكمة سؤال الله تعالى لأصحاب هذه الأعمال:

مما لا شك فيه أن الله تعالى يعلم السر وأخفى، ووسع علمه كل شىء، ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء..

وسؤال الله تعالى لهؤلاء الأصناف من البشر سؤال تقرير لهم وتبكيت، وحكمة سؤال الله تعالى لهم هى الحكمة العامة من سؤال الناس جميعًا أمام الله يوم الحساب والجزاء حتى يظهر فضل الله فى ثوابه وعدل الله فى عقابه ولا يظلم ربك أحدًا..

ونية المرء هى أساس قبول العمل، وما على الإنسان إلا أن يعامل وجه الله وحده ويدع ما سواه، فالله وحده هو الحى القيوم..

***

(١) سورة البقرة : آية (٢٦١).

النواميس الكونية

أخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن زيد بن خالد الجهنى أنه قال: «**صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف النبى ﷺ أقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب**».

***

قصة الحديث:

عزم الرسول ﷺ على أداء العمرة بعد رؤيا منامية، ودعا أصحابه رضى الله عنهم إلى الذهاب معه إلى مكة بعد ست سنوات من الهجرة، وعسكر المسلمون فى مكان يقال له الحديبية على بعد أربعين كيلو مترا من مكة، وبدأ يبعث إلى قريش يوضح لها مقصده وأنه لم يأت لحرب وإنما جاء معتمرا، فليس من المعقول أن يسمح لسائر العرب بدخول مكة وزيارة البيت الحرام، ويمنع محمد ﷺ وأصحابه..

وانتهى الموقف بما يعرف فى السيرة النبوية بصلح الحديبية على أن يرجع المسلمون عامهم هذا ويأتوا فى العام القابل لأداء العمرة..

وحدث فى أثناء إقامة المسلمين بالحديبية أن أمطرت السماء ليلا، وعندما حان وقت الفجر أدى الرسول ﷺ الصلاة مع أصحابه ثم أقبل على الناس بوجهه الشريف يعلمهم حكما شرعيا يجتث به بقايا الجاهلية..

فإن الناس فى الجاهلية كانوا ينسبون ظواهر الكون ومظاهر الطقس والمناخ إلى أسباب مادية فقط ويجعلونها علا ومعلولات لا تتخلف، وينسون المدبر الحكيم الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى.. وكانوا يعتقدون أن الأمطار مرتبطة بالأنواء ارتباطا ضروريا، فأعلمهم الرسول ﷺ أن المطر يبسطه الله فى السماء كيف يشاء فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء.

قال الله تعالى:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[1].

وقال جل شأنه:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٤٤﴾ ﴾[2].

معنى قوله: «بنوء كذا وكذا».

النوء هو سقوط نجم فى المغرب من النجوم الثمانية والعشرين التى هى منازل القمر، مأخوذ من ناء إذا سقط، وقيل: بل النوء طلوع نجم منها وهو مأخوذ من ناء إذا نهض، ولكل نوء مدة زمنية قيل إنها ثلاثة عشر يوما..

معنى الكفر بالكواكب أو الكفر بالله:

إن نزول المطر بواسطة النوء إما بصنعه أو بعلامته، واعتقاد أن النوء يصنع المطر وحده دون عناية إلهية كفر بالله المدبر الحكيم..

وأما اعتقاد أن النوء علامة على المطر فذلك شىء لا حرج فيه، وقد قال الله تعالى:

﴿ وَعَلَـٰمَـٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[3].

قال الإمام الشافعى فى الأم:

---

(١) سورة الأعراف: آية (٥٧).

(٢) سورة النور: الآيتان (٤٣، ٤٤).

(٣) سورة النحل: آية (١٦).

«من قال مطرنا بنوء كذا وكذا على ما كان بعض أهل الشرك يعنون من إضافة المطر إلى أنه مطر نوء كذا فذلك كفر كما قال رسول الله ﷺ لأن النوء وقت والوقت مخلوق لا يملك لنفسه ولا لغيره شيئا.

ومن قال مطرنا بنوء كذا على معنى مطرنا فى وقت كذا فلا يكون كفرا، وغيره من الكلام أحب إلى».

هذا وقد أضاف بعض الناس إلى النجوم تأثيرا آخر فى سعادتهم أو شقاوتهم بما يسمى البروج وحظك اليوم وما إلى ذلك، وهذا انحراف آخر فالنجوم والكواكب لا علاقة لها بمصائر الناس وليس لها تأثير ذاتى فى مصالح العباد وإنما الأمر كله لله رب العالمين، وقد وضع الله سبحانه للكون نواميس وسننا، فهى جارية بمشيئته وسلطانه وقهره، وارتباط الأسباب والمسببات ارتباط قائم على الإرادة الإلهية ولو شاء الله غير ذلك لكان..

أدب الديون أداء وقضاء

أخرج مسلم فى صحيحه عن ربْعِّى بن حِراش قال: «اجتمع حذيفة وأبو مسعود، فقال حذيفة: رجل لقى ربه فقال: ما عملت؟ قال: ما عملت من الخير إلا أنى كنت رجلا ذا مال فكنت أطالب به الناس، فكنت أقبل الميسور وأتجاوز عن المعسور، فقال: تجاوزوا عن عبدى».

قال أبو مسعود: هكذا سمعت رسول الله ﷺ يقول..

وفى رواية أخرى عن أبى مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شىء إلا أنه كان يخالط الناس وكان موسرا فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر، قال: قال الله عز وجل: نحن أحق بذلك منه، تجاوزوا عنه».**

المعنى العام:

هذا الحديث خبر من وراء الغيب تكلم به الصادق المصدوق سيدنا محمد ﷺ، وتعددت روايات هذا الحديث، ومضمونها أن رجلا من الأمم السابقة على أمة الإسلام، آتاه الله مالا، فلما مات ورد الحساب وناقشه الملك العلام وسأله سؤال تقرير ماذا عملت فى الدنيا؟ والناس يومئذ لا يكتمون الله حديثا، ولم يكن للرجل عمل خير قط إلا موقفا واحدا ذكره أو ذكّر به – كما جاء فى بعض الروايات – فقال: كنت أداين الناس فآمر عمالى أن ينظروا المعسر ويتجوزوا عن الموسر أى أنه كان سهلا سمحا فى مداينته، فلم يشق على الناس فى معاملاتهم وكان خلقه المسامحة فى الاستيفاء سواء استوفى من موسر أو معسر، فربما أمهل الموسر وربما تنازل عن حقه كله أو بعضه لدى المعسر، ومن أجل هذا الخلق الكريم حصلت لهذا الغنى الجواد سعادة الآخرة وشملته رحمة الرحمن الرحيم وتحقق له الفوز فقال الله له نحن أحق بذلك منك وتجاوز الله عنه وعفا عنه..

ولهذا فينبغى للمرء ألا يحتقر من المعروف شيئا..

توجيهات مالية:

هذا الحديث الشريف له دلالة عميقة المعنى فى أكثر من جانب فهو يؤكد أهمية أن يتكافل الناس ويتعاونوا ويتراحموا، فإن الله تعالى استودع الأموال بعض الناس ليبتليهم فى كيفية

تصريف الأموال واستخدامها الاستخدام الصحيح فيما يعود نفعه على الفرد والمجتمع، ولم يجعل المال ليكنز أو ليمنع من أبواب الخير أو ليصرف في المعصية والتبذير.. وقد نهى الله تعالى أشد النهى عن هذه الاتجاهات الفاسدة فقال في حق الكانزين:

﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[1].

وقال جل شأنه في حق السفهاء المبذرين:

﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾[2].

وهناك توجيهان للإسلام في مسألة الدين:

التوجيه الأول: أن يبتعد الإنسان ما أمكن عن الديون وليتعفف فإن الدين هَم بالليل ومذلة بالنهار، وإذا ما اضطر الإنسان إلى الاستدانة فليسع جهده إلى إبراء الذمة وأداء الحقوق على أحسن وجه ولذا قال عليه الصلاة والسلام كما في صحيح مسلم «مَطل الغنى ظلم».

وقال: «**من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ومن أخذ أموال الناس يريد إتلافها أتلفه الله**».

التوجيه الثاني: هو مطالبة الدائن بحسن الاقتضاء بمعنى إنظار المعسر أو التجاوز عنه، وقد قال الله تعالى:

﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ ﴾[3].

---

(١) سورة التوبة: الآيتان (٣٤ ، ٣٥).
(٢) سورة الإسراء: الآيتان (٢٦ ، ٢٧).
(٣) سورة البقرة: آية (٢٨٠).

وذات يوم سمع رسول الله ﷺ صوت خصوم بالباب عالية أصواتهما وإذا أحدهما يستوضع الآخر ويسترفقه فى شىء وهو يقول: والله لا أفعل، فخرج رسول الله ﷺ عليهما فقال: أين المتألى على الله لا يفعل المعروف.

قال: «أنا يا رسول الله، فله أى ذلك أحب».

أى أن الرجل قبل شفاعة الرسول الكريم وتنازل عن بعض حقه.

فما أجمل أن يعيش الناس فى تسامح وحب ووئام.

❋❋❋

obeikandl.com

التوبة والمغفرة

أخرج مسلم فى صحيحه بسنده عن أبى هريرة ﷺ، عن النبى ﷺ فيما يحكيه عن ربه عز وجل قال: «**أذنب عبد ذنبا فقال: اللهم اغفر لى ذنبى، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدى ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب؛ ثم عاد فأذنب فقال: أى رب اغفر لى ذنبى، فقال تبارك وتعالى: عبدى أذنب ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب؛ ثم عاد فأذنب فقال: أى رب اغفر لى ذنبى فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدى ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، اعمل ما شئت قد غفرت لك**».

قال عبد الأعلى أحد الرواة: «لا أدرى أقال فى الثالثة أو الرابعة اعمل ماشئت..» .

***

فلسفة الإسلام فى تصحيح السلوك:

كل مناهج التربية قائمة على تصحيح السلوك وتقويم الخلق وتبصير السالكين، ولا يستقيم منهج للتربية بغير إقالة للعثرة وصفح عن الزلة..

وقد خلق الله الإنسان بطبيعة غير طبيعة الملك وغير طبيعة الحيوان الأعجم؛ فالملك مفطور على الطاعة، والحيوان الأعجم خارج عن دائرة التكليف، والإنسان وحده هو حامل أمانة التكليف ومسئولية تطبيق الشريعة الإلهية.. والله تعالى لا يدع مذنبا على يأس، ولا عاصيا على قنوط، بل النداء العام الخالد الذى رفعه القرآن المجيد:

﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾[1].

وفى تصوير بديع رائع يقول رسول الله ﷺ – كما فى صحيح مسلم: «**لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس**

(١) سورة الزمر: الآيتان (٥٣ ، ٥٤).

منها، فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها قد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدى وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح ».

كيف تتحقق التوبة:

من ارتكب إثما أو خطيئة تقع تحت حد من حدود الله تعالى فأقيم الحد عليه فالحدود كفارات تجبر الذنب وتصلح حال النفس والله تعالى أكرم من أن يضاعف العقوبة على عبده فى الآخرة.

وإذا كانت المعصية لا تقع تحت قائمة الحدود، أو ستره الله تعالى فلم يكشف ستره فإن طريق الخلاص فى حقه يتحقق بمراحل متعاقبة متلازمة هى:

١ – الندم على ما فرط منه فى جنب الله تعالى.

٢ – الإقلاع عن المعصية فلا يقيم عليها.

٣ – العزم على عدم العود إلى ما يغضب الله سبحانه.

٤ – رد الحقوق لأصحابها إن كانت المعصية تتعلق بحق من حقوق العباد.

٥ – الإكثار من العمل الصالح وطيبات السلوك، والإقبال على الله بكنه الهمة وكامل العزيمة وصدق التوجه..

وليس فى دين الله معصية لا تقبل التوبة منها، أو ذنب لا يغفره الله لمستغفر، وكل من أقبل على الله بتوبة صادقة غفر الله له وقبل توبته، فالكافر يسلم، قال تعالى:

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾[1].

والعاصى يتوب، قال سبحانه:

﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[2].

قضية العود إلى الذنب:

التوبة واجبة من الذنب ولو تكرر مائة مرة، كل ما فى الموضوع أن المسلم لا يصل إلى مرحلة الاستهتار والاستخفاف بالقيم والشرائع، بل يندم حقيقة حين يقارف الذنب لإدراكه أن له ربا يستطيع أن يعاقبه ويستطيع أن يغفر له..

---

(١) سورة الأنفال: آية (٣٨).

(٢) سورة النور: آية (٣١).

والمسلم لا يقنط من رحمة الله ولا ييأس من عفوه بل إن اليأس من الرحمة الإلهية كبيرة من كبائر الإثم، قال تعالى على لسان إبراهيم: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[1].

وقال جل شأنه على لسان يعقوب: ﴿ وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾[2].

والشيطان يود لو ظفر من الإنسان باليأس من رحمة الله حتى يظل فى المهاوى والمفاسد والشرور لأن ترك التوبة يعنى الاستمرار فى المنكر..

والحديث الشريف يؤكد أن تكرار التوبة المصاحبة للندم سيصل بالإنسان يوما ما إلى الإقلاع التام عن المعصية..

والتربية تحتاج إلى مراحل وتدرج حتى يستكمل الإنسان مراتب كماله ومدارج وصوله إلى النفس المطمئنة..

***

(١) سورة الحجر: آية (٥٦).

(٢) سورة يوسف: آية (٨٧).

obeikandl.com

لا يأس من روح الله

أخرج مسلم فى صحيحه عن جندب أن رسول الله ﷺ حدّث أن رجلاً قال: «**والله لا يغفر الله لفلان، وإن الله تعالى قال: من ذا الذى يتألى علىّ ألاَّ أغفر لفلان فإنى قد غفرت لفلان وأحبطت عملك أو كما قال**».

***

هذا الحديث الشريف يضعنا أمام قضية ذات أهمية كبرى، لها جانبان جانب اجتماعى يتعلق بالدعوة إلى الله تعالى وتحبيب الناس فى الخير، وجانب إلهى يتعلق بمغفرة الله تعالى لذنوب عباده..

الجانب الاجتماعى:

يخبرنا الحديث الشريف أن رجلاً حلف بالله مؤكدًا أن الله تعالى لن يغفر لشخص ما يظنه ارتكب من الخطأ أو الخطيئة ما لا يستحق معه المغفرة.. وقد وقع هذا الحالف فى أكثر من خطيئة، لقد أقحم نفسه فيما لا يعنيه ولا يطلع عليه ولا يعلم عنه شيئًا وهو من اختصاص الله عز وجل وحده، وأقسم على ذلك وكأنه يتحكم فى القدر الإلهى الأعلى، وكأنه يملك خزائن رحمة الله.

ولهذا قال الله عز وجل فى الحديث الشريف: «**من ذا الذى يتألى علىّ ألاَّ أغفر لفلان**».

ومعنى« يتألى» يحلف.

فشأن الإنسان إذا رأى منكرًا أن يسعى لتغييره بمراتب التغيير التى أشار إليها الحديث النبوى الشريف: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»..

وشأن الإنسان الناصح ألاَّ يشمت فى أخيه العاصى بل يحزن عليه، ويدعو له بالتوفيق والهداية، ويساعده على التخلص من معصيته بتأليفه وتحبيب الخير إليه، لا أن ينفره ويقنطه من رحمة الله.

الجانب الإلهى:

لقد أمرنا بالتوبة والاستغفار من الذنوب كبيرها وصغيرها، وإذا مات الإنسان على الإيمان فأمره مفوض إلى ربه فيما اقترفه من المعاصى إن شاء عذبه بقدر معصيته وإن شاء عفا عنه لحكمة يعلمها الله تعالى، ولا خلود لمؤمن فى العذاب، إنما الخلود الأبدى - حسب ما جاءت به النصوص الشرعية - إنما هو للكافرين.. قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (١).

وجاء فى حديث رواه الترمذى عن أنس رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: «**يابن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى، يا ابن آدم إنه لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك، يا ابن آدم إنك لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة**».

وليس فى هذا الحديث ما يجعل الناس يستمرئون المعصية، فلا أحد يضمن لنفسه أن يلقى الله على الإيمان فإن المعاصى بريد الكفر، ولا أحد يضمن لنفسه أن يكون فى محل العفو الإلهى..

وشأن الإنسان العاقل أن يأخذ حذره بأن يباعد بينه وبين سبل الشيطان، وأن يجاهد نفسه وهواه حتى يستقيم على الطاعة، وإذا مات إنسان فقد أفضى إلى ما قدم، ولا يجوز لمسلم أن يقيم من نفسه حكمًا على أعمال هذا الإنسان بل ندع ذلك لعلام الغيوب..

ونظل نحن فى حياتنا الدنيا نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، ونغير ما يخالف الدين بكافة الوسائل المشروعة، ونذكر الوعد والوعيد كما جاءت به النصوص على عمومها فنقول لعنة الله على الظالمين، والكافرين، والفاسقين.. وهكذا دون أن نخصصها بشخص بعينه، فإن العواقب خفية والعبرة بالخواتيم..

***

(١) سورة النساء: آية (٤٨).

أنا الدهـر

أخرج مسلم فى صحيحه بسنده عن أبى هريرة ﷺ قال: سمعت رسـول الله ﷺ يقـول: قال الله عز وجـل: «**يسب ابن آدم الدهر، وأنا الدهر بيدى الليل والنهار..**».

وقد جاءت روايات قدسية أخرى منها:

قال الله عز وجل: «**يؤذينى ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر أقلب الليل والنهار**».

قال الله عز وجل: «**يؤذينى ابن آدم يقول يا خيبـة الدهـر، فـلا يقولـن أحدكـم يـا خيبـة الدهر فإنى أنا الدهر أقلب ليله ونهاره فإذا شئت قبضتهما**».

ثم جاءت روايات بصيغة التوجيه النبوى منها:

«**لا يقولن أحدكم يا خيبة الدهر فإن الله هو الدهر**».

«**لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر**».

***

المراد بسب الدهر:

بعض الناس عندما تضيق نفوسهم أو يقفون مواقف الصعاب أو ينزل بهم بأس وشدة يشـتمون الأيام ويقولون: ليلة سوداء ويوم نحس.. وهكذا ويصبون لعناتهم على الزمان..

وكأن الزمان هو الفاعل لما يقع فيه من حـوادث ونـوازل، وينسـون أن الله تعـالى هـو الفـاعل المختار وأنه سبحانه خالق الكـون والكائنـات، ويتناسـون أن العيـب فـى سـلوكهم، وكمـا قـال الشاعر:

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننـا عيب سـوانا

فأفعال الإنسان وسلوكياته هى محل المدح أو الذم، والإنسان مسئول عما يقـع منـه إن خـيرًا فخير وإن شرًا فشر..

وحيث تكون الحوادث خارجة عن إرادة الإنسـان وليسـت بسـبب مـن جهتـه فعلـى المسـلم العاقل أن يرضى بما قسم الله له، ويؤمن بمواقع القضاء، ويسـتقبل خطـوب الزمـان بتسـليم لله واحتساب.. قال الله تعالى:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[1].

وقال رسول الله ﷺ : «عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا».

المراد بقوله (أنا الدهر):

المراد أن الله تعالى خالق الزمان والمكان والمتصرف فيهما فهو سبحانه له الخلق والأمر، والليل والنهار خاضعان لمشيئته قال تعالى:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[2].

ما يرمى إليه الحديث:

يؤكد الحديث الشريف قيمة الوقت وضرورة استغلال الزمان فيما ينفع، فالوقت نعمة، وهو محسوب على الإنسان، وهو محدد فلكل إنسان أجل لا يتخطاه، ولكى ينتفع المرء بوقته لابد أن يستقيم على طاعة الله حتى يمنحه البركة، فالمدار على بركة الوقت وليس على طول الوقت.

ولذا كان من علامات الساعة أن يتقارب الزمان بمعنى أن يقل خيره ولا ينتفع به الانتفاع الصحيح، ولا يحقق فيه ما يجب تحقيقه..

ومن مشاهد القيامة التى حكاها القرآن المجيد أن الظالمين يصطرخون فى النار يتمنون الرجوع إلى الدنيا فينادون من قبل الله تعالى:

﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ﴾[3].

---

(١) سورة البقرة: الآيات (١٥٥، ١٥٧).

(٢) سورة فصلت: آية (٣٧).

(٣) سورة فاطر: آية (٣٧).

رحمة الله تعالى

أخرج مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال الله عز وجل: «**سبقت رحمتى غضبى**».

وفى رواية أخرى: قال رسول الله ﷺ: «**لما خلق الله الخلق كتب فى كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتى تغلب غضبى**».

***

معنى رحمة الله وغضبه:

رحمة الله تعالى وغضبه يرجعان إلى معنى الثواب والعقاب، وإلى معنى المنح والمنع، فالثواب والمنح رحمة، والعقاب والمنع غضب..

قال الله تعالى: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾[1]، فالرحمة هنا جاءت فى مقابلة العذاب.

وقال تعالى حكاية عن موقف امرأة إبراهيم مع الملائكة حين بشروها بالولد وهى عجوز:

﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾[2].

فالرحمة هنا بمعنى النعم والآلاء التى امتن الله بها على آل إبراهيم.

وجاء الغضب بمعنى العقاب فى قوله تعالى:

﴿ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ ﴾[3].

---

(١) سورة الأنعام: آية (١٤٧).

(٢) سورة هود: الآيتان (٧٢، ٧٣).

(٣) سورة طه: آية (٨).

كيف تغلب الرحمة الغضب؟

مما لا ريب فيه أن نعم الله على الإنسان لا تعد ولا تحصى، فالله خلق الإنسان وسواه وتولى شئونه حيث لا يراه أحد فى رحم الأم، ويسر له أسباب معاشه بما منحه من طعام وماء ومأوى، وما هيأ له من أرض وسماء وما أحاط به من فضاء وهواء..

ولم يترك المولى سبحانه الإنسان سدى بل بعث إليه الرسل وأنزل الكتب هداية ورحمة، قال الله تعالى:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ (١).

وفى مجال الثواب والعقاب نجد أن ميزان الثواب قائم على الفضل الإلهى، وأن ميزان العقاب قائم على العدل الإلهى؛ وفى تعبير عن هذا المعنى جاء الحديث الشريف الذى رواه مسلم: «**يقول الله عز وجل من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر، ومن تقرب منى شبرًا تقربت منه ذراعًا، ومن تقرب منى ذراعًا تقربت منه باعًا، ومن أتانى يمشى أتيته هرولة، ومن لقينى بقراب الأرض خطايًا لا يشرك بى شيئًا لقيته بمثلها مغفرة**».

خلق الرحمة فى حياة المسلم:

إن هذا الحديث القدسى الشريف: «**سبقت رحمتى غضبى**» يدفع المسلم دفعًا إلى أن يتراحم ويتعاون ويتفقد أحوال أخيه المسلم، إن كان فى حاجة قضاها له، وإن كان فى شدة واساه، وإن كان مريضًا عاده، وإن كان محتاجًا أعطاه.. وهكذا.

وفى صحيح مسلم عن النعمان بن بشير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**المسلمون كرجل واحد، إن اشتكى عينُه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسُه اشتكى كله**».

---

(١) سورة إبراهيم: الآيات (٣٢ ، ٣٤).

والرحمة التى يريدها الإسلام رحمة عامة، تشمل رحمة الأم وليدها، ورحمة الرجل أهله، ورحمة الإنسان بالإنسان بل ورحمة الإنسان بالحيوان تحقيقًا لقول رسول الله ﷺ: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته**».

وهذه الرحمة العامة لا تمثل إلا جزءًا يسيرًا من رحمة الله بعباده فالله هو الرحمن الرحيم، وفى صحيح الحديث قال ﷺ: «**جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل فى الأرض جزءً واحدًا، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه**».

***

obeikandl.com

النعمة والفطرة

فى صحيح مسلم عن عياض المجاشعى أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم فى خطبته: ألا إن ربى أمرنى أن أعلمكم ما جهلتم مما علمنى يومى هذا: قال (أى المولى سبحانه وتعالى):

«كل مال نحلته عبدًا حلال، وإنى خلقت عبادى حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزّل به سلطانًا، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب».

***

هذا جزء من حديث قدسى طويل يخبر فيه المصطفى الكريم عما علمه ربه تعالى فى يوم من الأيام..

وقد تضمنت الفقرة التى سقناها ثلاث قضايا هامة:

القضية الأولى:

كل مال نحلته عبدًا حلال.

أى أن الله تعالى إذا منح الإنسان مالاً من كسب طيب فهو حلال، له حق ملكيته والتصرف فيه بما شرع الله تعالى، وليس للإنسان أن يحرم طيبات ما أحل الله أو يحل ما حرم الله.. فالتحليل والتحريم هما حكم الله عز وجل.

وقد نعى القرآن المجيد على أهل الكتاب أنهم منحوا رؤساءهم الدينيين سلطة لا تليق إلا بالله تعالى فقال:

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[1].

---

(١) سورة التوبة: آية (٣١).

وجاء فى حديث رواه الترمذى وأحمد أن عدى بن حاتم الطائى دخل على رسول الله ﷺ وهو يقرأ هذه الآية الكريمة فقال عدى: «**إنهم لم يعبدوهم، فقال الرسول ﷺ : بلى إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم**».

وكان العرب فى الجاهلية يتبعون طريقًا عجبًا فى التحليل والتحريم، وفيهم نزل قوله تعالى:

﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[1].

والبحيرة هى الناقة يجدعون آذانها، والسائبة هى الناقة لا تركب ولا يجز وبرها ولا يحلب لبنها إلا لضيف، والوصيلة هى الناقة تلد لأول مرة أنثى ثم تلد فى المرة الثانية أنثى فيقولون وصلت انثيين ليس بينهما ذكر فتترك للأصنام، لا يد لأحد عليها..

والحامى هو فحل الإبل إذا لقح عشرًا قيل حامٍ فاتركوه أو إذا ولد لولده قالوا حمى ظهره فلا يحملون عليه ولا يمنعونه من حمى..

وقيل فى تفسير هذه الألفاظ غير ذلك..

القضية الثانية:

«**وإنى خلقت عبادى حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم..**».

أى أن الله تعالى خلق الناس جميعًا على الفطرة النقية مستعدين لقبول الحق والالتزام به ولكن الشياطين من الإنس والجن صرفت الناس عن هذا الاستعداد الفطرى فطمست معالمه وجعلت الناس يتمردون على الدين ويتحللون من القيم ويغيرون شرع الله ويعبدون غير الخالق البارئ المصور وفى ذلك يقول الله تعالى:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟

---

(١) سورة المائدة: آية (١٠٣).

مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[1].

ومعنى قوله تعالى: ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ﴾، أى لا ينبغى أن تغير تلك الفطرة أو تبدل فالأصل أن تبقى تلك الفطرة نقية طاهرة..

القضية الثالثة:

«وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب» فى هذه الفقرة القدسية، وصف لحال العالم قبل الإسلام فقد كان الناس فى جهالة جهلاء يعبدون الحجارة ويقدسون الأصنام ويحرفون الكتاب المنزل ويقولون على الله كذبًا ويفترون على الأنبياء.. وصدق الله حيث يقول:

﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾[2].

هذا وقد استثنى الحديث القدسى بقايا من أهل الكتاب ظلوا على الحق منتظرين النبى الخاتم حتى آمنوا به وصدقوه كعبد الله بن سلام ونجاشى الحبشة وسلمان الفارسى وغيرهم من الأحبار والرهبان الذين وصفهم الله بقوله:

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[3].

***

(١) سورة الروم: الآيات (٣٠ ، ٣٢).

(٢) سورة آل عمران: الآية (١٦٤).

(٣) سورة المائدة: آية (٨٣).

النبوة والجهاد

نقف مع فقرة ثانية من حديث عياض المجاشعى أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم فى خطبته: ألا إن ربى أمرنى أن أعلمكم ما جهلتم مما علمنى يومى هذا.. قال: : «أى المولى سبحانه وتعالى».

«إنما بعثتك لأبتليك وأبتلى بك، وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائما ويقظان، وإن الله أمرنى أن أحرق قريشا، فقلت: رب إذا يَثْلَغُوا رأسى فيَدَعوه خُبْزَة قال: استخرجهم كما استخرجوك، واغزهم نُغْزِك، وأنفق فسننفق عليك، وابعث جيشا نبعث خمسة مثله، وقاتل بمن أطاعك من عصاك».

***

تتضمن هذه الفقرة القدسية ثلاث قضايا هى:

القضية الأولى:

«إنما بعثتك لأبتليك وأبتلى بك».

فرسالة سيدنا محمد ﷺ كانت خاتمة الرسالات الإلهية، توضح حق الله وحق العباد، فحق الله تعالى أن يطاع فلا يعصى وأن يعبد فلا يجحد، وأن يشكر فلا يكفر، وحق العباد أن يقوموا بالقسط وأن يكونوا عباد الله إخوانا..

وقد بعث الله تعالى محمدا ﷺ ليبتليه أى يختبره فى تحمل الأمانة وتبليغ الدعوة والجهاد فى الله حق جهاده، ويبتلى الناس به أى يختبرهم فمنهم من آمن ومنهم من كفر، وعلى أساس ما يختار الناس يحاسبون أمام الله تعالى:

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾[1].

فالله تعالى يحاسب الإنسان على ما وقع منه لا على ما علمه الله منه قبل وقوعه..

القضية الثانية:

«وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائما ويقظان».

---

(١) سورة الزلزلة: الآيتان (٧ ، ٨).

فالله تعالى أنزل القرآن تبيانا لكل شيء ومعجزة خالدة لا يبلى على مر الزمن، وقد ضمن الله تعالى حفظ كتابه فقال:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾[1].

وإذا أراد الله شيئا يسر له أسبابه، فتآلفت القلوب حول القرآن، وتعلقت النفوس بحفظه وتحفيظه، وجاهدت العقول فى فهم حكمه وأسراره وآياته.. وسيظل القرآن ينادى صباح مساء:

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٢٣ ﴾[2].

ومعنى قوله تعالى فى الحديث القدسى: «**تقرؤه نائما ويقظان**» أن الرسول ﷺ يقرؤه فى يسر وسهولة ويظل يحفظه بلا نسيان أبدا، كما قال تعالى:

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩ ﴾[3].

القضية الثالثة:

«**وإن الله أمرنى أن أحرق قريشا فقلت: رب إذا يثلغوا رأسى فيدعوه خبزة قال: استخرجهم كما استخرجوك، واغزهم نُغْزِك، وأنفق فسننفق عليك، وابعث جيشا نبعث خمسة مثله، وقاتل بمن أطاعك من عصاك**».

إن الرسول ﷺ مكث فى مكة ثلاث عشرة سنة يدعو إلى توحيد الله فما كان من قومه إلا الصدود والاستكبار والعنت والاضطهاد للرسول والمسلمين إلى أن جاء الإذن الإلهى بالهجرة إلى المدينة، وهناك بدأ المسلمون يردون العدوان ويؤمنون العقيدة ويظهرون قوة الدين وسلطة الدولة..

لقد أمر الله تعالى رسوله باستئصال قريش التى زلزلت المسلمين زلزالا شديدا فخشى الرسول ألا تتكافأ قوته مع قوتهم وخشى أن ينقلبوا على المسلمين فيكسروا الوجوه ويشدخوا الرؤوس.. فمعنى قوله: «**إذا يثلغوا رأسى فيدعوه خبزة**» **أى يشدخوه ويشجوه كما يشج الخبز أى يكسر.**

---

(١) سورة الحجر: آية (٩).

(٢) سورة البقرة: آية (٢٣).

(٣) سورة القيامة: الآيات (١٦) إلى (١٩).

لكن الله تعالى بين لرسوله أن قريشا بدأت بالظلم والعدوان ولابد من رد كيدهم فى نحورهم، والله يدافع عن عباده المؤمنين ويمدهم بمدده العظيم ونصره المؤزر.. قال استخرجهم كما استخرجوك، واغزهم نغزك، وأنفق فسننفق عليك، وابعث جيشا نبعث خمسة مثله.

ثم بين الله تعالى لرسوله أن أساس النصر للمؤمنين هو طاعتهم لله وأن أساس هزيمة المشركين هو معصيتهم لله فقال: «**وقاتل بمن أطاعك من عصاك**».

وقد جاء هذا المعنى فى القرآن الكريم فى قوله:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧ ﴾[1].

***

(١) سورة محمد: آية (٧).

obeikandl.com

فضل الأنبياء وتفاضلهم

أخرج مسلم فى صحيحه بسنده عن أبى هريرة ﷺ، عن النبى ﷺ أنه قال: يعنى الله تبارك وتعالى: لا ينبغى لعبد لى - وفى رواية - لعبدى أن يقول أنا خير من يونس بن متى عليه السلام.

***

يونس بن متى

نبى كريم من بنى إسرائيل، ذكره القرآن المجيد باسمه الصريح فقال: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾[1]. ووصفه بصاحب الحوت فقال: ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾[2]. وأطلق القرآن عليه ذا النون فى قوله: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾[3].

ومعنى هذه الآية الكريمة أن يونس عليه السلام دعا قومه إلى التوحيد فرفضوا دعوة الحق، ويئس من إيمانهم فتركهم وهو غضبان عليهم قبل تلقى الإذن الإلهى بالهجرة، وظن أن الله تعالى لن يضيق عليه ولن يؤاخذه بما فعل فركب فى الفلك المشحون، وعندما شقت السفينة طريقها فى البحر تبين أن حمولتها زائدة ولن تستطيع مواصلة سيرها إلا بتخفيف هذه الحمولة، وتعثر عليها رجوعها إلى الشاطىء فأجروا قرعة ليتخلصوا من الحمولة الزائدة فوقع السهم على يونس بن متى. فألقى فى اليم إنقاذا لباقى الركاب، ولم يكن يعرفه أحد، فالتقمه الحوت، وأدرك يونس أنه عوقب من قبل الله تعالى فنادى فى ظلمات البحر وبطن الحوت:

---

(١) سورة الصافات: آية (١٣٩).

(٢) سورة القلم: آية (٤٨).

(٣) سورة الأنبياء: الآيتان (٨٧ ، ٨٨).

﴿ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[٣].

فاستجاب الله دعاءه وأنقذه من هول الموقف، وخرج من بطن الحوت واستعاد نشاطه في الدعوة إلى الله تعالى..

وقفة مع لفظ الحديث

نتساءل عن مرجع الضمير في قوله: «أنا خير من يونس بن متى» فنقول إن للعلماء رأيين: الأول أن الضمير يعود على المتكلم أي لا ينبغي لعبد أن يقول إنه خير من يونس بن متى، فقد يتوهم بعض الجهال عندما يدرك بسطة علم أو عبادة أنه وصل إلى درجة يفوق فيها نبي الله يونس عليه السلام، فإن الإنسان مهما بلغ في عبادة أو علم لن يصل إلى درجة النبوة، فلا شيء يعدلها، والنبي - أي نبي - هو الإنسان الكامل والعبد المصطفى الذي يفضل جميع البشر.

الرأي الثاني أن الضمير يعود إلى سيدنا محمد ﷺ، والمعنى أنه لا ينبغي لأحد أن يعتقد تفضيلا لسيدنا رسول الله يجعله يحقر يونس بن متى نتيجة موقفه حين ذهب مغاضبا وترك قومه، فما جرى ليونس عليه السلام لا يحط مثقال ذرة من النبوة فحسنات الأبرار سيئات المقربين.

التفاضل بين الأنبياء

الأنبياء جميعا خير البشر، اصطفاهم الله وصنعهم على عينه وأمدهم بالمعجزات وأعلى قدرهم، والأنبياء يتفاضلون فيما بينهم كما قال الله تعالى:

﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ ﴾[١].

وقد قال العلماء إن أفضل الأنبياء أولو العزم من الرسل وهم حسب الترتيب الزمني نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ، وقد خصهم الله تعالى بالذكر فقال:

---

(١) سورة البقرة: آية (٢٥٣).

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ ﴾[1].

وقال جل شأنه:

﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾[2].

ومعنى أولى العزم أنهم أصحاب العزيمة القوية، تحملوا البأساء والشدة أكثر من غيرهم، وجاهدوا فى الله حق جهاده، ولهذا أمر سيدنا محمد ﷺ بتحمل الأذى والصبر على قومه كما صبر هؤلاء الرسل العظام فقال جل شأنه:

﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَـٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[3].

وأفضل أولى العزم هو سيدنا محمد، فهو ﷺ أفضل الأنبياء جميعا وهذا الفضل والتفضيل لا يعنى تحقيرا لواحد منهم، وإنما الأنبياء كلهم مشتركون فى الفضل ويربو عليهم محمد ﷺ، ولذا جاء فى صحيح الحديث «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع».

---

(١) سورة الأحزاب: آية (٧).

(٢) سورة الشورى: آية (١٣).

(٣) سورة الأحقاف: آية (٣٥).

يسر الدين وعدل العقاب

أخرج مسلم فى صحيحه – كتاب صفة القيامة والجنة والنار – بسنده عن أنس بن مالك ﷺ، عن النبى ﷺ قال: «يقول الله تبارك وتعالى لأهون أهل النار عذابا لو كانت لك الدنيا وما فيها أكنت مفتديا بها؟! فيقول نعم، فيقول: قد أردت منك أهون من هذا وأنت فى صلب آدم – ألا تشرك – أحسبه قال – ولا أدخلك النار، فأبيت إلا الشرك».

وقد جاء هذا الحديث القدسى برواية أخرى: أن النبى ﷺ قال: يقال للكافر يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبا أكنت تفتدى به، فيقول نعم، فيقال له: «قد سئلت أيسر من ذلك».

***

نعمة الإسلام:

إن نعمة النعم هى أن يشرح الله صدر الإنسان للإسلام فيعيش بنور الله عز وجل، فتكون حياته كلها سعادة نفس، وهدوء قلب وانشراح صدر..

والإسلام نعمة تصلح به سائر النعم، ولا تصلح نعمة بدونه، فالمال فى غيبة الدين وبال على صاحبه، والجاه فى غيبة الدين تسلط وجبروت، والصحة فى غيبة الدين بطش وقهر.. وهكذا.

وقد امتن الله علينا بهذه النعمة الكبرى فقال:

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾(١).

وفى سورة الرحمن التى تعدد نعم الله على الخلق تصدرت نعمة تعليم القرآن، فهو الغاية الكبرى من هذه الحياة، فقال تعالى:

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ﴾(٢).

---

(١) سورة المائدة: آية (٣).

(٢) سورة الرحمن: الآيات (١ – ٤).

عقيدة البعث

إن الحياة لا تنتهى بالموت، بل إن الموت فى نظر الدين مرحلة انتقال لحياة أخرى أبقى وأخلد، إما فى النعيم وإما فى الجحيم.

وقد قامت دلائل الحق وبراهين الصدق على أن للإنسان موعدا لن يخلف مع الله عز وجل للحساب والجزاء..

جاء رجل مشرك إلى الرسول ﷺ ومعه عظم إنسان قد بلى ورم ففتته وذراه فى الهواء وقال: يا محمد أترى أن الله يحيى هذه؟ فقال الرسول ﷺ: نعم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك النار.

وهنا نزل قوله تعالى:

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[1].

عدل الله فى عقابه

إن الكافر والمشرك وأعداء الدين كلهم قد قامت عليهم الحجة بأن الله واحد أحد لا شريك له فى ملكه «خلق فسوى وقدر فهدى» لكن الإنسان الظلوم الجهول يتساءل ويقول أين الله؟! وقد يعبد الأصنام ويتخذ الأنداد ويفترى على الله الكذب..

مع أن آيات الأنفس والآفاق تنادى صباح مساء:

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾[2]

---

(١) سورة يس: الآيات (٧٨ – ٨٣).

(٢) سورة الحج الآية ٦٢.

وعندما يساق هؤلاء المشركون إلى المحشر ويجتمعون للحساب ويقفون بين يدى الملك العلام يقول لهم:

لو كانت لك الدنيا وما فيها أكنت مفتديا بها؟!

وفى هذا المعنى يقول الله فى القرآن المجيد:

﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾[1].

وإنما ذكر الحديث الشريف «أهون أهل النار» للدلالة على أن الدنيا كلها لا يدفع بها أهون العذاب فكيف بمن يستحق أكبر العذاب وأشده؟!

وصدق الله حيث يقول:

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[2].

وقد تحدث القرآن كثيرا عن هذه النفسيات الخربة التى لوثها الشرك وطمس فطرتها بأنهم لو ردوا إلى الدنيا ومنحوا فرصة أخرى لإصلاح العقيدة ما استقاموا على الطريقة، ولظلوا على طغيانهم يعمهون.. قال تعالى:

﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[3].

إن الدين يسر وإن شرائع الإسلام لا تكلف الناس إلا الطهر والنقاء والصدق، ولو أنصف الإنسان لخر لله ساجدا..

***

(١) سورة الزمر: آية (٤٧).

(٢) سورة البقرة: آية (٤٨).

(٣) سورة الأنعام: آية (٢٨).

شهود على الإنسان

أخرج الإمام مسلم فى صحيحه بسنده عن أنس بن مالك ﷺ قال: «**كنا عند رسول الله ﷺ فضحك، فقال: هل تدرون مم أضحك. قال: قلنا الله ورسوله أعلم، قال: من مخاطبة العبد ربه، يقول يارب ألم تجرنى من الظلم؟ يقول: بلى، فيقول: فإنى لا أجيز على نفسى إلا شاهدا منى، فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا، فيختم على فيه، فيقال لأركانه انطقى، فتنطق بأعماله، ثم يخلى بينه وبين الكلام، فيقول: بعدا لكن، وسحقا فعنكن كنت أناضل**».

***

زمن قصة الحديث

يحدثنا الرسول ﷺ عن موقف من مواقف الحساب أمام الله عز وجل يوم القيامة، ذلك الحساب الذى يستوعب الأعمال كلها صغيرها وكبيرها، ويقوم على العدل المطلق فإن الله تعالى لا يظلم الناس شيئا.. قال الله تعالى:

﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[1].

قصة الحديث

ذات يوم كان الصحابة جلوسا عند رسول الله ﷺ فرأوه ضاحكا، ثم سألهم: هل تدرون مم أضحك؟، فكان الجواب: الله ورسوله أعلم، وكان هذا السؤال والجواب لفتا للذهن وتنبيها للوعى واستجماعا للشعور نحو الخير الذى يريد الرسول ﷺ إبلاغه لأصحابه.

والخبر من وراء الغيب، سيحدث يوم القيامة، حيث يقف الإنسان يخاطب ربه قائلا: يارب ألم تجرنى من الظلم؟ يقول الرب تبارك وتعالى: بلى، يعنى أن الله تعالى حرم الظلم على نفسه، ويحاول الإنسان الكافر أن يتخذ من ذلك ذريعة لجدل لا يفيد وخديعة لنفسه فيقول:

---

(١) سورة الأنبياء: آية (٤٧).

فإنى لا أجيز على نفسى إلا شاهدا منى. أى أن الإنسان الظالم يظن أنه يمكن التحايل على الله تعالى حيث لا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه، فيطلب شاهدا من نفسه، ويجيبه الله تعالى إلى مطلبه ويقول له:

كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا.

حينئذ يختم على فم الإنسان وتنطق الجوارح بما اقترفت فى جنب الله..

المراد بالأركان

يراد بالأركان فى قوله «فيقال لأركانه انطقى» الجوارح، وهذه الجوارح التى تشهد على الإنسان ستة، ذكرها القرآن المجيد، هى اللسان واليد والرجل فى قوله تعالى:

﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾[1].

وهى أيضا السمع والبصر والجلد كما فى قوله تعالى:

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[2].

ولا عجب فى شهادة الجوارح ونطقها فإن الله تعالى قادر لا يعجزه شىء، والذى أنطق اللسان هو الذى ينطق بقية الجوارح.. قال الله جل شأنه:

﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[3].

حقيقة موقف الإنسان

إن نطق الجوارح ليس مشكلة وليس هو القضية، فإن الإنسان الكافر فى باطن عقله وقلبه لا يستبعد أن يجعل الله هذه الجوارح ناطقة، لكن حقيقة الموقف أن الإنسان الكافر لم يكن يصدق بيوم العاقبة.. قال الله تعالى:

---

(١) سورة النور: الآيتان (٢٤ – ٢٥).

(٢) سورة فصلت الآيتان (١٩ – ٢٠).

(٣) سورة فصلت: آية (٢١).

﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[1].

وعندما يقف الإنسان مبهورًا أمام قدرة الله وأمام الشهود من جوارحه يبرأ من نفسه ويدعو عليها بالويل والثبور قائلا:

بعدا لكُن وسحقا، فعنكن كنت أناضل.

لقد خدع الإنسان نفسه فى هذا الموقف مرتين: الأولى عندما طلب أن يكون الشهود من نفسه، والأخرى عندما رد شهادة جوارحه، وزعم أنه ارتكب ما ارتكب من أجل نفسه والحفاظ على جوارحه، وهو كاذب فى زعمه هذا فليست الجريمة تحفظ أحدا، وليست المعصية تبقى على منفعة، وليس الذنب يجلب سعادة.. ولا يلوم المرء إلا نفسه، ولات حين مناص، ولات ساعة مندم..

﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ ﴾[2].

نسأل الله العفو والعافية.

***

(١) سورة فصلت: الآيتان (٢٢ – ٢٣).

(٢) سورة إبراهيم: الآيتان (١٦ – ١٧).

الحب فى الله

روى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالى اليوم أظلهم بظلى يوم لا ظل إلا ظلى».**

***

مفهوم المحبة بجلال الله

المحبة بجلال الله تعنى أن يجتمع الناس على طاعة الله يحبون الطائع لطاعته ويبغضون الفاسق لفسقه، ليس لهم غرض دنيوى ولا هدف مادى.

إن بعض الناس يقبلون أيدى الأغنياء طمعا فى أموالهم فإذا ظفروا بها لعنوهم وأطلقوا ألسنتهم بالسوء.. وبعض الناس يقبلون أيدى الوجهاء حبا فى كسب المغانم من وصالهم واستعلاء على الناس، فإذا تمكنوا أفسدوا فى الأرض وعاثوا فسادا، لكن الصلة الوحيدة الدائمة مع الغنى والفقر، ومع العز والذل هى المحبة فى الله ولله لا يزيدها المنح ولا ينقصها المنع وإنما هى مرتبطة بالولاء لله ورسوله والتمسك بالكتاب والسنة..

وعن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه - كما رواه أبو داود - أن رسول الله ﷺ قال: **«من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان».**

وفى الصحيح عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار.

وصدق الله العظيم حيث يقول:

﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[1].

أدب المحبة فى الله

المحبة فى الله أساسها الإيمان فبغير الإيمان لن تتحقق الأخلاق الكريمة وستصبح العلاقات نفاقا ورياء وخداعا..

---

(١) سورة الزخرف: آية (٦٧).

وفى نصيحة عامة يقول ﷺ: «**لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أَوَلاَ أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم**» رواه مسلم.

وإفشاء السلام هو أن نلقى السلام على من نعرف ومن لا نعرف وبمعنى التسامح والعفو والصفح..

ومن أدب المحبة فى الله النصح ودعوة الخير، ولنا فى رسول الله الأسوة الحسنة، فعن معاذ رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال – كما رواه أبو داود والنسائى بإسناد صحيح – يا معاذ والله إنى لأحبك ثم أوصيك يا معاذ لا تدعن فى دبر كل صلاة تقول: «اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك».

والتزاور فى الله قيمة اجتماعية نبيلة، وقد أخبر الصادق الأمين ﷺ – كما رواه مسلم – أن رجلا زار أخا له فى قرية أخرى فأرصد الله تعالى على مدرجته ملكا فلما أتى عليه قال أين تريد؟ قال: أريد أخا لى فى هذه القرية. قال هل لك عليه من نعمة تربها عليه؟ قال: لا، غير أنى أحببته فى الله تعالى قال: فإنى رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه».

ومن الخير أن يفصح الإنسان عن محبته لأخيه تأكيدا للتواصل الإيجابى وترسيخا لقيم الحق والفضيلة التى جمعت بينهما، وقد روى أبو داود بإسناد صحيح عن أنس رضى الله عنه، أن رجلا كان عند النبى ﷺ فمر رجل فقال: يا رسول الله إنى لأحب هذا، فقال له النبى ﷺ أأعلمته؟ قال: لا، قال: أعلمه، فلحقه فقال: إنى أحبك فى الله فقال: أحبك الله الذى أحببتنى فيه».

ثواب المحبة فى الله

القيامة أهوال يشيب لها الولدان ويكفى أن تقرأ قول الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢ ﴾[1].

فى هذا اليوم العصيب ينعم المتحابون بجلال الله ويهنأون، وتظلهم رحمة الله وينالهم رضوانه الأكبر.. حتى يغبطهم النبيون والشهداء. وعن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إن

(١) سورة الحج: الآيتان (١ – ٢).

من عباد الله لأناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء، تغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله، قالوا: يا رسول الله تخبرنا من هم؟ قال: قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى نور، ولا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس، وقرأ هذه الآية:

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[1].

رواه أبو داود.

***

(١) سورة يونس: آية (٦٢).

obeikandl.com

أين ملوك الأرض

أخرج مسلم فى صحيحه أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: يطوى الله عز وجل السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك.. أين الجبارون؟! أين المتكبرون؟! ثم يطوى الأرض بشماله ثم يقول: أنا الملك.. أين الجبارون؟! أين المتكبرون؟!

وفى رواية عن أبى هريرة رضى الله عنه كان يقول: قال رسول الله ﷺ: يقبض الله تبارك وتعالى الأرض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك.. أين ملوك الأرض؟!

***

بعض مشاهد القيامة

هذا الحديث الشريف يذكر الإنسان بالمآل إلى الله تعالى، ويضع أمام بصره وبصيرته المشهد الأخير لهذا الكون..

ومشاهد القيامة كثيرة مفزعة، ولها أهوال تجعل الولدان شيبا، وكما حكى القرآن الكريم:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢ ﴾ (١).

وقد ورد فى نصوص الحديث ثلاثة ألفاظ هى يأخذ، ويطوى، ويقبض وهى جميعا بمعنى الرفع والإزالة والتبديل، فالمراد أن الكون يعتريه تغيير شامل، وتنقلب فيه الأوضاع، وتخرج فيه الكائنات عن نواميسها، وقد جاء البيان القرآنى بتعبيرات شتى عن هذا المعنى، مثل قوله تعالى:

---

(١) سورة الحج: الآيتان (١ - ٢).

﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ ﴾[1].

أثر هذه المشاهد فى تصحيح السلوك

هذه المشاهد المرتقبة، والتى هى حق لا يعتريه ريب، وواقع لا محالة - تجعل الإنسان يفكر ألف مرة قبل أن يرتكب جريمة أو يقع فى معصية أو يندفع إلى شهوة..

ومن أكبر الكبائر الظلم القائم على الجبروت والكبر، فالإنسان المتكبر الطاغية ينسى بداية نشأته ونهاية حياته، وضعفه الملازم.. فبداية الإنسان ماء مهين، ونهاية الإنسان جيفة فى باطن الأرض، وهو خلال حياته ينتابه الضعف من كل جانب، ولا يملك الإبقاء على قوة شبابه أو صحة جسمه، أو غنى ماله..

وعدل الله تعالى يلاحق المتكبرين فى الدنيا وقد يمهلهم إلى الآخرة.. ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ۝٥٢ ﴾[2]. وقد صور القرآن المجيد صورا للطغاة المتكبرين وكيف أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، فقارون عندما اعتز بماله ونسى حق الله فيه، وعمى عن فضل الله عليه، وتكبر واستكبر، وتباهى بقوته واستكثر بعلمه - عاجله الله تعالى بعدله: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ۝٨١ ﴾[3].

وينبه الحديث القدسى الشريف ملوك الأرض وحكام الدول إلى حسن السياسة للرعية، والاهتمام بشئون المجتمع وخدمة الناس وقضاء مصالحهم..

وقد قال عليه الصلاة والسلام - كما فى صحيح مسلم - : «ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة».

وقال ﷺ : **«اللهم من ولى من أمر أمتى شيئا فشق عليهم فاشقق عليه ومن ولى من أمر أمتى شيئا فرفق بهم فارفق به».**

---

(١) سورة التكوير: الآيات (١ - ٧).

(٢) سورة طه: آية: (٥٢).

(٣) سورة القصص: آية: (٨١).

إن الحديث القدسى الذى معنا يخبرنا خبر الصدق أن الله تعالى ينادى يوم القيامة: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟ أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟!

لقد سقطت كل الأقنعة، وبعدت كل حماية ووقف كل إنسان مسئولا وحده عن عمله أمام الملك العلام..

ويلتقى هذا الحديث مع الآية الكريمة:

﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ ﴾ [1].

***

(١) سورة غافر: الآيتان (١٦ – ١٧).

obeikandl.com

أهل الجنة وأهل النار

أخرج مسلم فى صحيحه بسنده عن عياض المجاشعى أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم فى خطبته: «**ألا إن ربى أمرنى أن أعلمكم ما جهلتم مما علمنى يومى هذا: قال (الله تعالى) وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال، قال: وأهل النار خمسة: الضعيف الذى لا زَبْر له، الذين هم فيكم تبعًا لا يبتغون أهلاً ولا مالاً، والخائن الذى لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه، ورجل لا يصبح ولا يمسى إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك، وذكر البخل أو الكذب، والشّنظير الفحاش**».

يقدم هذا النص القدسى ثلاثة من أهل الجنة وخمسة من أهل النار..

فأهل الجنة هم:

١ - ذو سلطان مقسط متصدق موفق.

أى صاحب السلطان العادل الجواد الذى يعرف الحق ويلتزم به، ويعرف الخير فيعمل به، والسلطان بهذا المعنى معدود فى مقدمة السبعة الذين يظلهم الله فى ظل عرشه يوم القيامة، وقد اهتم رسول الله ﷺ بتعيين الولاة، وحرص على أن يكونوا على مستوى المسئولية، وعندما جاء أبو ذر رضى الله عنه يطلب الولاية قال له النبى ﷺ : يا أبا ذر إنك رجل ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزى وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها».

٢ - رجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم:

أى إنسان يكون رحيمًا بأهله وإخوانه وبنى جنسه، ويمتاز برقة القلب والعواطف، ويتعامل مع ذوى قرباه والمسلمين جميعًا بروح الأخوة والتضحية والإيثار..

وقد أوصانا الله تعالى بصلة الأرحام ورعاية الناس فقال:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[1].

---

(١) سورة النساء: آية: (١).

٣ - عفيف متعفف ذو عيال:

أى إنسان يصون ماء وجهه ويكف نفسه عن المسألة رغم احتياجه وكثرة أولاده. فمثل هذا الإنسان الذى يعمل فى صمت ويتحمل مشاق الحياة فى صبر يجب أن نبحث عنه لنعطيه حقه فى الزكاة والصدقات فهو أحق بها، وقد قال الله تعالى:

﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَىٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ﴾ (١).

***

وأهل النار هم:

١ - الضعيف الذى لا زَبْر له الذين هم فيكم تبعًا لا يبتغون أهلاً ولا مالاً.

فهم قوم لا عقل لهم ولا يحرصون على أهل ولا مال، ولا يلوون على شىء، ويرتكبون كل منكر وينغمسون فى الفحشاء ويعيثون فى الأرض فسادًا..

والزَبْر هو الزجر والانتهاء، فهم لا ينزجرون عن منكر ولا ينتهون عن فاحشة.

٢ - الخائن الذى لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه.

فحرصه على المادة وتعلقه بها يدفعه إلى أن يخون كل أحد ويخون فى كل شىء، فلا أمانة له.. وبالتالى فلا دين له..

٣ - ورجل لا يصبح ولا يمسى إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك..

فهو يتودد إلى الشخص ويتقرب إليه ثم هو يسرق المال ويلوث العرض ويرتكب المنكر والفاحشة فى أهل صديقه أو جاره أو قريبه دون أدنى إحساس بقيمة الصداقة أو الجوار أو الرحم..

٤ - وذكر البخل أو الكذب:

أى أن الرجل البخيل أو الكذاب هو من أهل النار.

---

(١) سورة البقرة: آية: (٢٧٣).

٥ – الشنظير الفحاش:

أى سيء الخلق الذى يكثر من الكلام الفاحش ويكون دائمًا واقعًا فى أعراض الناس ولا يسلم من لسانه أحد..

فهؤلاء الخمسة هم أصناف من البشر استحقوا النار وعذابها لأنهم ألغوا عقولهم وضيعوا الأمانة وانتهكوا العرض وأفحشوا القول ومنعوا المال حقه.. وما ظلمهم الله ولكن الناس أنفسهم يظلمون..

***

obeikandl.com

نعيم الجنة

أخرج مسلم فى صحيحه بسنده عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ يقول الله عز وجل: «**أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ذخرا بَلْه ما أطلعكم الله عليه**»، ثم قرأ:

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[1].

ضرورة الثواب والعقاب:

جاءت الرسالات الإلهية تدعو الناس إلى الحق وطريق مستقيم، ترغبهم وترهبهم، ترغبهم فى الجنة ونعيمها وترهبهم من النار وعذابها، وجاء الأنبياء مبشرين ومنذرين، وتلك طبيعة الحياة البشرية فى الدنيا والآخرة، فلكى تستقيم النفس الإنسانية لابد من جزاء ثوابا وعقابا..

والثواب وحده يجعل النفس تتراخى وتتساهل وتفرط، والعقاب وحده يجعل النفس تتشاءم وتقنط وتيأس، ولهذا وصف الله تعالى المؤمن بقوله:

﴿ يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾[2].

ثواب الله:

أعد الله تعالى لعباده الطائعين فى الآخرة الجنة ونعيمها، وهذا النعيم فوق الوصف ولا يحيط به العقل، وقد تحدث القرآن والسنة كثيرا عن هذا النعيم الأبدى، وجاءت أوصاف وأسماء قد نسمع عنها فى هذه الدنيا ونلمسها ولكن الحقائق والمسميات فى الآخرة غير ما تعارف عليه البشر..

قال الله تعالى:

﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[3].

---

(١) سورة السجدة: آية (١٧).
(٢) سورة الزمر: آية (٩).
(٣) سورة البقرة: آية (٢٥).

وجاء فى صحيح الحديث: **«إن فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام».**

والحياة فى الجنة لها نواميس أخرى غير ما قامت عليه هذه الحياة الدنيا، وقد قال ﷺ: **«يأكل أهل الجنة فيها ويشربون، ولا يتغوطون ولا يتمخطون ولا يبولون ولكن طعامهم ذلك جُشاء كرشح المسك يلهمون التسبيح والحمد كما تلهمون النَفس».**

وفى حديث آخر صحيح: **«ينادى مناد إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبتئسوا أبدا فذلك قوله عز وجل:**

﴿ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[1].

كل هذا النعيم الذى نعلمه من النصوص الشرعية الصحيحة لا يساوى شيئا بجوار ما لا نعلم من هذا النعيم فإن ربنا سبحانه وتعالى يقول فى حديثه القدسى: **«أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر».**

فهناك ألوان من النعيم وأصناف لم ترها عين من قبل ولم تسمع بها أذن ولا تخيلها إنسان ولا طرأت على بال أحد أبدا..

وهذا ما يجعلنا نخشع وندرك عظيم قدرة الله، وجميل صنعه، وكريم فضله، وسابغ رحمته وواسع عطائه..

ومصداق ذلك من كتاب الله عز وجل:

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[2].

وقد وردت هذه الآية الكريمة عقب وصف المؤمنين بأوصاف صالحات حيث يتلون كتاب الله بقلوبهم وألسنتهم وأعمالهم، ويتواضعون فى سلوكهم، ويتخففون من منامهم، ويناجون ربهم فى ليلهم، وينفقون من مال الله على خلق الله، قال جل شأنه:

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[3].

---

(١) سورة الأعراف: آية (٤٣).

(٢) سورة السجدة: آية (١٧).

(٣) سورة السجدة: الآيتان (١٥ ، ١٦).

بشارة لأمة الإسلام

أخرج مسلم فى صحيحه بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبى ﷺ تلا قول الله عز وجل فى إبراهيم: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾[1]. وقول عيسى عليه السلام: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾[2]. فرفع يديه وقال: «اللهم أمتى، أمتى، وبكى، فقال الله عز وجل: يا جبريل اذهب إلى محمد - وربك أعلم - فسله ما يبكيك، فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال وهو أعلم، فقال الله: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك فى أمتك ولا نسوءك».

❋❋❋

دعاء إبراهيم وعيسى عليهما السلام:

كان النبى ﷺ يقرأ القرآن ويفقه معانيه ويدرك مقاصده ويتفاعل معه، فيدعو فى مواطن الدعاء ويستعيذ فى مواطن العقاب ويسبح فى مواطن التسبيح.. وهكذا، لقد تلى النبى ﷺ دعاء إبراهيم الخليل الذى قصه القرآن فى قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾[3].

فإبراهيم عليه السلام دعا ربه أن يباعد بينه وبين سبل الطاغوت وعبادة الأصنام، ثم ذكر واقع الناس الأليم حيث ضلوا ضلالا مبينا عندما جعلوا الأصنام آلهة تعبد، وقد تبرأ إبراهيم من هذا الانحراف العقدى ورد أمر المنحرفين الضالين إلى الله عز وجل، إن شاء عذبهم وإن شاء عفا عنهم، فهو سبحانه صاحب الأمر كله، لا يسأل عما يفعل..

---

(١) سورة إبراهيم: آية (٣٦).

(٢) سورة المائدة: آية (١١٨).

(٣) سورة إبراهيم: الآيتان (٣٥ ، ٣٦).

كذلك قرأ الرسول ﷺ قول عيسى عليه السلام، كما حكاه القرآن من مشاهد يوم القيامة:

﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾[1].

والتعبير الكريم: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ مقصود به كسابقه رد الأمر إلى الله تعالى يفعل ما يشاء، فهو سبحانه صاحب الملك والملكوت وله الخلق والأمر، وليس المراد من ذلك تجويز مغفرة الكفر والعفو عن الكافرين من غير توبة صادقة فى الدنيا، فإن الله تعالى قد وعد بقبول توبة التائبين فى هذه الدنيا وتوعد من مات كافرا بالخلود الأبدى فى الجحيم فقال جل شأنه:

﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[2].

دعاء الرسول لأمته:

هنا أدرك الرسول ﷺ خطورة الموقف وشدة الهول وعظم الخطب فرفع يديه وقال: «**اللهم أمتى أمتى وبكى**»..

يريد الرسول الرحمة لأمته ويشفق عليهم من أن ينالهم بأس الله وعذابه، حينئذ بعث الله تعالى ملك الوحى جبريل الأمين إلى الرسول الكريم وقال: «**يا جبريل اذهب إلى محمد فسله ما يبكيك**»، **فجاء جبريل وسأل المصطفى عن سر بكائه أثناء دعائه فأفضى إليه الرسول بما استشعره فى قلبه على أمته، ورجع جبريل إلى ربه عز وجل حاملا دعاء رسول الله ﷺ**

---

(١) سورة المائدة: الآيتان (١١٧ ، ١١٨).

(٢) سورة النساء: الآيتان (١٧ ، ١٨).

لأمته، فجاء جبريل بالبشرى وحمل وعدا إلهيا نصه: «اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك فى أمتك ولا نسوءك».

وهذا الوعد الإلهى يلتقى مع الآية الكريمة:

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥ ﴾[1].

فعطاء الله لرسوله فى نفسه وفى أمته، ففى نفسه فهو الرسول الخاتم، وسيد ولد آدم، وأول شافع وأول مشفع، وفى أمته فهى خير أمة أخرجت للناس لن يخلد منها فى النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان..

وفى صحيح الحديث: **«لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبى دعوته وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة، فهى نائلة إن شاء الله من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئا».**

حكمة إرسال جبريل:

لا شك أن ربنا جل جلاله يعلم السر وأخفى، وهو أعلم بما حدث من رسول الله وما دفعه إلى البكاء عقب الدعاء، لكن المسألة جرت على هذا المنوال من السؤال والجواب والذهاب والمجىء لإظهار شرف رسول الله ﷺ وأن له المكانة السامية والمنزلة العليا الرفيعة عند ربه تبارك وتعالى، وأنه ﷺ يُسترضى ويكرم..

وهذه المنزلة لرسولنا الأمين تدفع المسلم إلى مزيد الولاء لله ورسوله، وحسن القدوة بالنبى الأكرم..

***

(١) سورة الضحى: آية (٥).

الشفاعة والشفعاء يوم القيامة

أخرج مسلم فى صحيحه حديثا مطولا فى الشفاعة رواه أبو سعيد الخدرى جاء فيه: يقول الله عز وجل: «**شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط**»..

***

مفهوم الشفاعة فى اللغة:

الشفاعة من الأمور السمعية التى تلقيناها سمعا من المعصوم ﷺ، ومعناها عرفا سؤال الخير من الغير للغير، وكلمة شفاعة وشفيع فى اللغة تعنى الشفع الذى هو مقابل الوتر، فالشفيع شفع الطالب فى طلبه أى صار معه شفعا، وبشفاعته صار المشفوع إليه فاعلا للطلب، فالشفيع شفع الطالب وشفع المطلوب منه أى صار مع كل منهما شفعا..

الإطار الشرعى للشفاعة:

الشفاعة عند الله تعالى ليست كالشفاعة عند البشر، فالله تعالى لا يشفعه أحد فهو سبحانه وتر، ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، وهو سبحانه يكرم الشفيع بقبول شفاعته.. ولا تنال الشفاعة إلا من يرضى عنه الله، ولا شفاعة لكافر..

قال الله تعالى:

﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[1].

وقال جل شأنه:

﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾[2].

وقال سبحانه:

﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾[3].

---

(١) سورة البقرة: آية (٢٥٥).

(٢) سورة طه: آية (١٠٩).

(٣) سورة الأنبياء: آية (٢٨).

وقال عز شأنه:

﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾[1].

فالشفاعة ابتداء وانتهاء هى لله عز وجل والمقصود منها أساسا هو تكريم الشفعاء وبيان منزلتهم عند الله.. قال الله تعالى:

﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[2].

الشفعاء عند الله:

طالما أن الشفاعة يقصد بها تكريم الشفعاء فإن سيدنا محمدا ﷺ هو أول شافع وأول مشفع، أى أول طالب للشفاعة وأول مقبول الشفاعة.

فالرسول ﷺ هو صاحب الشفاعة العظمى أو المقام المحمود الذى هو لفصل الخطاب وبدء الحساب بين البشر.

وملخص الأحاديث الواردة فى هذا المقام أن الناس بعد البعث والحشر يتمنون الانصراف من الموقف لهول ما يقع عليهم، والكرب الذى يلاحقهم، ويذهب الناس إلى آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، وكلهم يقول نفسى نفسى إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، ثم يأتى الناس إلى محمد ﷺ يطلبون منه الشفاعة، يقول عليه الصلاة والسلام: فآتى تحت العرش فأقع ساجدا لربى عز وجل، ثم يفتح الله على ويلهمنى من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلى، فيقال: يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه، اشفع تشفع..

هذه هى الشفاعة العظمى لسيدنا رسول الله ثم تتوالى شفاعة الأنبياء فى أقوامهم والملائكة والمؤمنين.. ولقد جاء فى بعض الأحاديث أن الأعمال الصالحة كالصوم وقراءة القرآن تشفع لصاحبها..

ففى حديث رواه أحمد: «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد، يقول الصيام رب إنى منعته الطعام والشراب بالنهار فشفعنى فيه، ويقول القرآن رب إنى منعته النوم بالليل فشفعنى فيه، فيشفعان**».

وفى حديث رواه الترمذى: «**من قرأ القرآن فاستظهره فأحل حلاله وحرم حرامه أدخله الله به الجنة وشفعه فى عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار**».

---

(١) سورة المدثر: آية (٤٨).

(٢) سورة الزمر: آية (٤٤).

وبعد أن يفرغ الشفعاء جميعا من الملائكة والأنبياء والعلماء والشهداء، ويكرم الله هؤلاء الشفعاء بقبول شفاعتهم – تأتى رحمة الله العامة الشاملة لتخرج من النار أقواما لم تنلهم شفاعة الشافعين – كان لهم إيمان ويقين لم يصحبه عمل صالح فيخرجهم الله من النار ويدخلهم الجنة، ويسمى هؤلاء عتقاء الله..

***

obeikandl.com

عتقاء الله تعالى

أخرج مسلم فى صحيحه بسنده عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال: «**يدخل الله أهل الجنة الجنة، يدخل من يشاء برحمته، ويدخل أهل النار النار، ثم يقول: انظروا من وجدتم فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه، فيُخْرَجون منها حُمَما قد امتَحَشُوا، فيلقون فى نهر الحياة أو الحيا، فينبتون فيه كما تنبت الحِبة إلى جانب السيل، ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية**».

***

أصناف الناس فى الآخرة:

خلقَ الله الخلق وكلفهم بشرائعه، ومقتضى الخلق أن يعبد الناس ربهم فلا يكفروه، وأن يشكروه فلا يجحدوه وأن يذكروه فلا ينسوه..

لكن الإنسان الذى حمله الله تعالى أمانة هذه الشرائع لما يقض ما أمره، فمنهم من آمن ومنهم من كفر..

وجاء وعد الله لمن آمن بالجنة ونعيمها، وجاء وعيد الله لمن كفر بالنار وجحيمها، ولكن هناك من خلط عملا صالحا وآخر سيئا وهو فى دائرة الإيمان لم يخرج عنها فلم ينكر عقيدة، ولم يتنكر لمعلوم من الدين بالضرورة، ولم يتبرأ من دينه..

هؤلاء قد يدخلون النار تطهيرا لذنوبهم ثم بعد ذلك يعودون إلى الجنة وخلدها، فلا يخلد مؤمن عاص فى النار ولا يدخل الجنة كافر..

ودخول أهل الجنة الجنة إنما هو برحمة الله، فهو سبحانه صاحب الفضل والمنة، خلق ورزق، وأمات وأحيا، وبعث الرسل وأنزل الكتب ومنح العقل، ومع ذلك يضاعف الحسنة أضعافا كثيرة..

ودخول أهل النار إنما هو بعدل الله ولا يظلم ربك أحدا..

عتقاء الله:

بعدما يستقر المؤمنون فى الجنة والكافرون فى النار يقول الله تعالى لملائكته: «انظروا من وجدتم فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه» والمراد بالإيمان هنا العمل الصالح لأن اليقين لا يتجزأ، والمراد بمثقال حبة من خردل أقل المقادير وزنا.

وفى هذه اللحظة تصفى النار من عصاة المؤمنين ولا يبقى فيها إلا الكافرون، فكل من أيقن بعقيدة التوحيد الخالص لله تعالى مصيره الجنة ولو بعد حين من العذاب، وقد يكون هذا العذاب شديدا، وقد عبر الحديث الشريف عن هذه الشدة فقال «**فيخرجون منها حُمَمًا قد امتَحَشُوا**».

ومعنى «الحمم» الفحم، ومعنى «امتحشوا» احترقوا..

وحينئذ ينبتهم الله نبتا آخر ويسوى خلقهم تسوية جديدة، ويعيدهم إلى الحياة الكريمة مرة أخرى، فيقول الحديث الشريف: «**فيلقون فى نهر الحياة أو الحيا**».

والمراد بالحيا المطر، سمى حيا لأن الأرض تحيا به، فهؤلاء المحترقون الذين خرجوا من النار بعد شدة عذاب يحيون حياة جديدة فيها نضارة وحسن تمهيدا لدخولهم الجنة.

وقد عبر الحديث الشريف عن هذا المعنى بقوله: «**كما تنبت الحبة إلى جانب السيل ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية؟**».

والحبة – بكسر الحاء – بزر البقول والعشب، والمراد التشبيه فى سرعة النبات وحسنه وبهجته، فبمجرد نزول المطر ينبت العشب الأخضر ويظهر النبات البهيج..

وقد جاء فى حديث صحيح وصف لهؤلاء بعد أن يخرجوا من نهر الحياة فقال: «**فيخرجون كاللؤلؤ، فى رقابهم الخواتم، يعرفهم أهل الجنة، هؤلاء عتقاء الله، الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه، ولا خير قدموه**».

كما جاء فى الحديث الصحيح وصف نعيمهم الذى منحه الله لهم فقال: «**ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم، فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين فيقول: لكم عندى أفضل من هذا، فيقولون: يا ربنا أى شىء أفضل من هذا؟ فيقول: رضاى فلا أسخط عليكم بعده أبدا**».

***

أمة الإسلام والكوثر

أخرج مسلم فى صحيحه بسنده عن أنس ﷺ قال: بينا رسول الله ﷺ **ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسمًا، فقلنا ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال: أنزلت على آنفًا سورة ، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم** ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ﴾[1]، **ثم قال: أتدرون ما الكوثر ؟ فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: إنه نهر وعدنيه ربى عز وجل، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، فيُخْتلج العبد منهم فأقول: رب إنه من أمتى، فيقول: ما تدرى ما أحدثتْ بعدك».**

***

صورة من الوحى:

هذا الحديث الشريف يكشف لنا عن صورة من صور الوحى الإلهى إلى الرسول ﷺ، لقد كان الرسول الكريم جالسًا بين أصحابه ، وجاءه الوحى فأغفى الرسول إغفاءة ثم رفع رأسه ، والمقصود أنه فى هذه الصورة جاءه الملك فانصرف الرسول عمن حوله واستغرق فى لقاء الملك ، وأغمض عينيه ، وأحيانًا كان الرسول يتصبب عرقًا فى اليوم الشاتى، وقد يتغير لونه ، كل ذلك لأن لملاقاة الملك آثارًا نفسية وروحية وبدنية . .

وعقب هذه الإغفاءة رفع الرسول ﷺ رأسه معلنًا انتهاء حالة الإيحاء . .

تبليغ الوحى:

بعد ما انتهت لحظة الإيحاء تبسم الرسول ﷺ ، فقال الحاضرون من الصحابة : ما أضحكك يا رسول الله ؟ لأنهم كانوا يحرصون على متابعة الرسول فى كل حركة وسكون ، ويحبون أن يعلموا شأنه كله فهو الأسوة الحسنة . .

---

(١) سورة الكوثر: من الآيات (١ – ٣)

وعندئذ أخبرهم الرسول ﷺ بأن سورة من سور القرآن العظيم قد نزلت عليه متضمنة بشرى عظيمة ، وقرأ عليهم سورة الكوثر وابتدأها بالبسملة مما يدل على أنها جزء من السورة . .

تفسير الوحى :

لم يكتف الرسول ﷺ بمجرد تبليغ ما أنزل الله ، وإنما شرحه وبينه ، وساق ذلك فى أسلوب حوار طريف فقال لأصحابه : أتدرون ما الكوثر ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم ، فالصحابة كانوا يتلقفون التعليم النبوى ويحرصون على سماع تفسيرات الرسول لاعتقادهم أنه لا ينطق عن الهوى ولا يقول إلا حقًا .

لقد فسر الرسول ﷺ الكوثر قائلاً : فإنه نهر وعدنيه ربى عز وجل، عليه خير كثير وهو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة ، آنيته عدد النجوم .

إن الكوثر نهر خير وبركة منحه الله تعالى لرسوله ﷺ يسقى منه أمته، فمن شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدًا ، وله آنية كثيرة العدد كنجوم السماء التى لا نستطيع إحصاءها .

تحذير من الرسول :

لقد حذر الرسول ﷺ الأمة مغبة الانحراف عن المنهج فأخبر – وهو الصادق المصدوق – أن هناك مجموعة من الناس يمنعون من الوصول إلى الكوثر وهذا الحوض الذى يقف عليه الرسول ساقيًا لأمته . .

ويعرف الرسول هذه المجموعة التى تمنع عن الحوض ويدرك أنها من أمته بسيماهم الخاصة بهم فهم غر محجلون من آثار الوضوء كما ورد بذلك صحيح الحديث، فأعضاء الوضوء تأتى يوم القيامة ذات نور وضاء . .

وينادى الرسول ربه ويجأر إليه بالدعاء: رب إنه من أمتى ، أى هذا الشخص الذى يمنع عن الحوض من أمة محمد ﷺ . . فيأتى النداء الإلهى بأن هؤلاء الذين منعوا من شراب الكوثر قد بدلوا وحرفوا وابتدعوا فى دين الله عز وجل ولم يستقيموا على الجادة ولم يلتزموا بالسنة ولم يحرصوا على الشرع فيباعدهم الله من هذا الحوض حتى يأخذوا عقابهم الذى يتكافأ مع جريمتهم ثم يعودون إلى النعيم فهم مازالوا فى دائرة الإيمان ولذلك عرفهم الرسول ﷺ بآثار الوضوء.

***

رؤية المؤمنين لربهم فى الآخرة

أخرج الإمام مسلم فى صحيحه بسنده عن صهيب عن النبى ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟! قال : فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل ، وفى رواية : ثم تلا هذه الآية:**

﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ (١).

***

فضل الله فى الجنة :

وعد الله تعالى المؤمنين جنات تجرى من تحتها الأنهار ، فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وقد جاء الحديث طويلاً فى القرآن المجيد والسنة المطهرة عن نعيم الله للمؤمنين فى الجنة ، ولنقرأ قوله سبحانه :

﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (٢).

وعمل الإنسان مهما بلغ فهو قاصر عن أن يفى بشكر نعم الله فى الدنيا، فكيف يفى بفضل الله فى ثوابه فى الآخرة؟، ولهذا قال الرسول ﷺ: «**لن ينجى أحدًا منكم عمله قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته**».

حوار مع الله :

سجل هذا الحديث القدسى جانبًا من حوار الله تعالى مع عباده المؤمنين فى الجنة ، ذلك الحوار الذى يقوم على التنزيه المطلق لله تعالى بلا كيفية نعلمها فنؤمن به كما يليق بجلال الله وكماله..

---

(١) سورة يونس: آية (٢٦).

(٢) سورة البقرة : آية (٢٥).

وهذا الحوار يحدث بعد ما يدخل أهل الجنة الجنة وينعمون بها النعيم السرمدى ، فيقول الله تبارك وتعالى لهم : تريدون شيئًا أزيدكم ؟.

يعنى هل تريدون مزيدًا من النعيم ؟ وهل لديكم أشياء تتمنون تحقيقها أو رغبات تسعون لتلبيتها ؟

فيقول أهل الجنة شاكرين لله سبحانه ، معترفين له جل شأنه بالفضل والمنة : ألم تبيض وجوهنا ؟! ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟!

أى فماذا ننتظر بعد ذلك وقد تحققت آمالنا كلها ، وفاقت فى تحققها كل تصور بشرى ، وبلغت غايات لا يصل إليها عقل الإنسان.

ويظنون أن النعيم قد انتهى عند هذا الحد . . هنا يكشف الحجاب فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل . .

حقيقة النظر إلى الله تعالى :

رؤية المؤمنين فى الآخرة لربهم أكدها أهل السنة وذكروها فى قمة نعيم أهل الجنة استنادًا إلى مثل هذا الحديث وغيره من روايات الثقات وتخريج كتب الصحيح.. ومن هذه الروايات — كما فى مسلم — «**أن ناسًا قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: هل تُضارون فى رؤية القمر ليلة البدر ؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: هل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا: لا يا رسول الله ، قال : فإنكم ترونه كذلك**».

ومقصود هذا الحديث تشبيه رؤية الله تعالى برؤية القمر ليلة البدر ورؤية الشمس فى ضحاها بجامع الوضوح والظهور وزوال الشك والمشقة ، وليس المراد تشبيه مرئى بمرئى فإن الله تعالى لا يشبه شمسًا ولا قمرًا . .

وقد جاءت نصوص قرآنية تدل بظاهرها على ثبوت الرؤية مثل قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [1]، كما فسرت الزيادة فى قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [2]، بأنها رؤية الله تعالى.

وإثبات أهل السنة للرؤية هو إثبات بلا تشبيه ولا كيفية وكما يليق بجلال الله وكماله. .

---

(١) سورة القيامة: الآيتان (٢٢ ، ٢٣).

(٢) سورة يونس: آية (٢٦).

رضوان الله

أخرج مسلم فى صحيحه بسنده عن أبى سعيد الخدرى أن النبى ﷺ قال: «**إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة ، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير فى يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: ومالنا لا نرضى يارب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك؟! فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ ، فيقولون: يا رب وأى شىء أفضل من ذلك ؟ فيقول: أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدًا**» .

❋❋❋

كلام الله :

إن حديث الله تعالى مع أهل الجنة يعد من كبريات النعم ، ولهذا عوقب أهل المعصية بحرمانهم من شرف هذا الحديث ، قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ (١).

وكلام الله تعالى ليس من جنس كلامنا ولا يشبهه ، والله تعالى يتكلم بما شاء وكيف شاء، ليس كمثله شىء ، ولم يكن له كفوًا أحد . .

تأملات فى الحوار مع الله :

فى هذا الحوار القدسى العلوى بين رب العزة جل جلاله وأهل الجنة يكون جواب المؤمنين دائمًا : لبيك ربنا وسعديك والخير فى يديك.

ومعنى «لبيك» أى نقيم على طاعتك، ونصب على المصدر كقولك: حمدًا لله وشكرًا، أى أحمده حمدًا وأشكره شكرًا ، وكان حقه أن يقال: لبًا لك مصدر «لبّ»، وثنى على معنى التأكيد.

ومعنى «سعديك» إسعادًا لك بعد إسعاد فهو مثنى. .

وهذا الدعاء من أهل الجنة من التسبيح الذى هو ديدنهم وشأنهم كله، كما قال الله تعالى:

---

(١) سورة آل عمران : آية (٧٧).

﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ (١).

وعندما يجأر المؤمنون إلى ربهم بالثناء والحمد والتلبية على ماهم فيه من نعيم الخلد يقول لهم: هل رضيتم ؟ فيتعجبون قائلين: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك؟!

فإن الجنة ونعيمها هى الفوز والسعادة والهناء كله، وإذا كان مجرد التزحزح من النار نعمة فما بالنا بمن تغمره النعم وتعمه الآلاء وحياته بأجمعها رغد وسلام ، قال الله تعالى:

﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ ﴾ (٢).

ثم إن نعيم الجنة ليس من الجانب المادى فحسب، فى الأرائك والسرر والمآكل الشهية والمشارب الهنية والمناكح البهية، بل هناك ما هو فوق ذلك وذروة سنامه، ألا وهو الرضوان والود. .

ولهذا جاء فى تمام هذا الحوار «ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون: يا رب وأى شىء أفضل من ذلك ؟ فيقول: أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم أبدًا».

وقد جاء فى القرآن المجيد هذا المعنى واضحًا جليًا ، ففى سورة التوبة بعد ما وعد الله المؤمنين بالجنات وما فيها من أنهار ومساكن طيبة بين أن الرضا من الله والرضوان هو فوق ذلك كله فقال:

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ (٣).

وقد سماه القرآن فى سورة مريم ودًا فقال جل شأنه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ ﴾ (٤)، ومن هنا فإن نعيم الجنة مادى ومعنوى ليلائم طبيعة الإنسان المادية والروحية وليتواءم مع تكوين الإنسان البدنى والروحى وكما كان الإنسان فى هذه الدنيا جسمًا وروحًا فهو فى الآخرة كذلك ولكن بصورة أخرى ونواميس جديدة، فلكل حياة ما يناسبها.

---

(١) سورة يونس: آية (١٠).
(٢) سورة آل عمران: آية (١٨٥).
(٣) سورة التوبة: آية (٧٢).
(٤) سورة مريم: آية (٩٦).

حديث الجنة وحديث النار

أخرج الإمام مسلم فى صحيحه بسنده عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«احتجت النار والجنة فقالت هذه : يدخلنى الجبارون والمتكبرون، وقالت هذه: يدخلنى الضعفاء والمساكين، فقال الله عز وجل لهذه: أنت عذابى أعذب بك من أشاء، وربما قال: أصيب بك من أشاء، وقال لهذه: أنت رحمتى أرحم بك من أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها».**

***

معنى قوله: «احتجت النار والجنة» :

الجنة هى دار النعيم التى أعدها الله تعالى فى الآخرة لعباده الصالحين.

والنار هى دار العذاب التى أعدها الله تعالى فى الآخرة للعصاة والكافرين.

والحجاج بين النار والجنة هو تعبير بلاغى لبيان صفات أهلهما، وفيه من التشويق للمخاطبين ما فيه .

صفات أهل النار:

يذكر هذا الحديث الشريف أن النار يدخلها الجبارون والمتكبرون، والجبار هو الذى يقتل على الغضب، والمتكبر هو المبالغ فى تعظيم نفسه، وهاتان الصفتان متى اجتمعا فى شخص فقد استجمع أسباب الفساد كله، فهو يوهم نفسه بالعظمة والكبرياء وعلو شخصه على باقى البشر ثم هو يعيث فى الأرض فسادًا بالغضب والسطو والقتل بلا رادع يردعه..

هؤلاء الجبارون المتكبرون مصيرهم جهنم وبئس القرار، ولا يظلم الله من خلقه أحدًا. .

والنار هى الجزاء المناسب لكل طاغية مستكبر، وستظل النار تنادى: هل من مزيد، حتى يشاء الله لها الامتلاء ثم ينزوى بعضها إلى بعض كما جاء فى روايات أخرى. .

صفات أهل الجنة :

أخص صفات أهل الجنة التواضع لخلق الله والشفقة بهم والحنو عليهم.. وقد عبر عن هذا المعنى فى الحديث الشريف بأنهم الضعفاء والمساكين والمراد أنه لا شوكة لهم ولا ظلم يقع منهم..

وحيث كان هؤلاء رحماء فى الدنيا فقد أعد الله لهم رحمته خالصة فى الآخرة ، وهى الجنة ونعيمها، يرحم الله بها من يشاء من عباده. .

وتظل الجنة تنادى : هل من مزيد حتى تمتلئ، وجاء فى بعض الروايات أن الله تعالى ينشئ للجنة خلقًا آخر بهم تمتلئ الجنة، الأمر الذى يدل على سعة الجنة وعظم نعيمها ، وقد جاء فى الصحيح أن للواحد فيها مثل الدنيا وعشرة أمثالها ثم يبقى فيها شىء لخلق ينشئهم الله تعالى.

فما أعظم رحمة الله، وما أوسع جنته ، وما أبقى نعيمها وأخلده..!!

وهنا ملاحظتان :

الأولى: أن ملء النار إنما هو بالجبارين والمتكبرين، وأن الجنة لا تجد من يملؤها حتى يخلق الله خلقًا آخر تمتلئ بهم الجنة، وفى ذلك دلالة على أن العقاب الإلهى عدل مطلق وأن الثواب الإلهى فضل مطلق . .

قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ (١).

الثانية: المشيئة فى قوله تعالى فى الحديث القدسى للنار: «**أنت عذابى أعذب بك من أشاء، وللجنة: أنت رحمتى أرحم بك من أشاء**».

هذه المشيئة مرتبطة بالحكمة ومحمولة على الصفات التى ذكرها الحديث فى صدره، فمن يشاؤه الله من أهل النار هم الجبارون المتكبرون، ومن يشاءه الله من أهل الجنة هم الضعفاء والمساكين بمعنى الخضوع لله والتواضع لخلق الله.

ولنتذكر قول الله تعالى:

﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (٢).

***

(١) سورة النساء: آية (٤٠).

(٢) سورة القصص: آية (٨٣).

آخر أهل الجنة دخولاً

أخرج مسلم فى صحيحه بسنده عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنى لأعلم آخر أهل النار خروجًا منها، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة - رجل يخرج من النار حبوا، فيقول الله تبارك وتعالى له : اذهب فادخل الجنة ، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى ، فيقول الله تبارك وتعالى له : اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى ، فيقول الله له : فاذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو إن لك عشرة أمثال الدنيا ، فيقول: أتسخر بى أو أتضحك بى وأنت الملك»** .

قال الراوى: لقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه ، فكان يقول: ذاك أدنى أهل الجنة منزلة. .

***

خلود الجزاء :

وعد الله المؤمنين بالخلود الأبدى فى الجنة فقال:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴿١٢٢﴾ ﴾ (١).

وأوعد الله الكافرين بالخلود الأبدى فى الجحيم فقال:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿٦٥﴾ ﴾ (٢).

لكن بعض المؤمنين قد يدخلون النار عقوبة مؤقتة لهم على ما اقترفوا من معاص لم تخرجهم عن الدين الصحيح ، فهى عقوبة موقوتة حتى يطهروا ثم يدخلون الجنة بعد ذلك . ولا خلود لمؤمن فى الجحيم. .

---

(١) سورة النساء: آية (١٢٢).

(٢) سورة الأحزاب: الآيتان (٦٤، ٦٥).

وحيث إن المعاصى تتفاوت فإن مقدار ما يقضيه العاصى فى العذاب يتفاوت بقدر معصيته.

وجمهور المسلمين على أن من مات ولم يتب من ذنبه الذى هو دون الكفر فأمره مفوض إلى الله تعالى إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه لفترة محدودة.. قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾ (١).

وقال جل شأنه:

﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ (٢).

قصة الحديث:

يحدثنا رسول الله ﷺ حديثًا عن غيب المستقبل ، يتعلق بالمؤمن العاصى الذى ارتكب من المآثم ما جعله آخر أهل النار خروجًا منها وآخر أهل الجنة دخولاً فيها. .

ويصفه الرسول بأن هذا المؤمن العاصى يخرج من النار حبوا، وفى رواية زحفا، وفى هذا التعبير دلالة على أن هذا الخارج من الجحيم قد مضى عليه أحقاب طوال أنهكت قواه و أثقلت حركته ونالت من قدرته حتى غدا يحبو أو يزحف. .

وفى هذه اللحظة يظن الخارج من الجحيم أن الجنة قد امتلأت ولم يعد فيها موضع قدم، فينادى من قبل الله تعالى أن يدخل الجنة ، فيأتيها ويخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول يارب وجدتها ملأى. .

وبعد مراجعات يقول الله تبارك وتعالى له مبينًا فضله وسعة ملكه وعظم سلطانه وكثره جوده وعفوه: اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها.

وهنا يقع هذا الخارج من الجحيم فى ذهول من هول المفاجأة فيقول: أتسخر بى أو أتضحك بى وأنت الملك ..

فلم ينضبط لسانه دهشة وفرحًا، وخانه التعبير، كما جاء فى الحديث الشريف عن الرجل الذى فقد ناقته حتى أشرف على الهلاك ثم وجدها فقال: «اللهم أنت عبدى وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح» .

---

(١) سورة النساء: آية (١١٦).

(٢) سورة التوبة: آية (١٠٦).

وعندما حكى الرسول ﷺ خبر الخارج من الجحيم لأصحابه ضحك حتى بدت نواجذه سرورًا بفضل الله، وفرحًا بعطائه وتعجبًا من سعة ملكه. .

وصدق الله حيث يقول:

﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [1].

***

(١) سورة الحديد: آية (٢١).

obeikandl.com